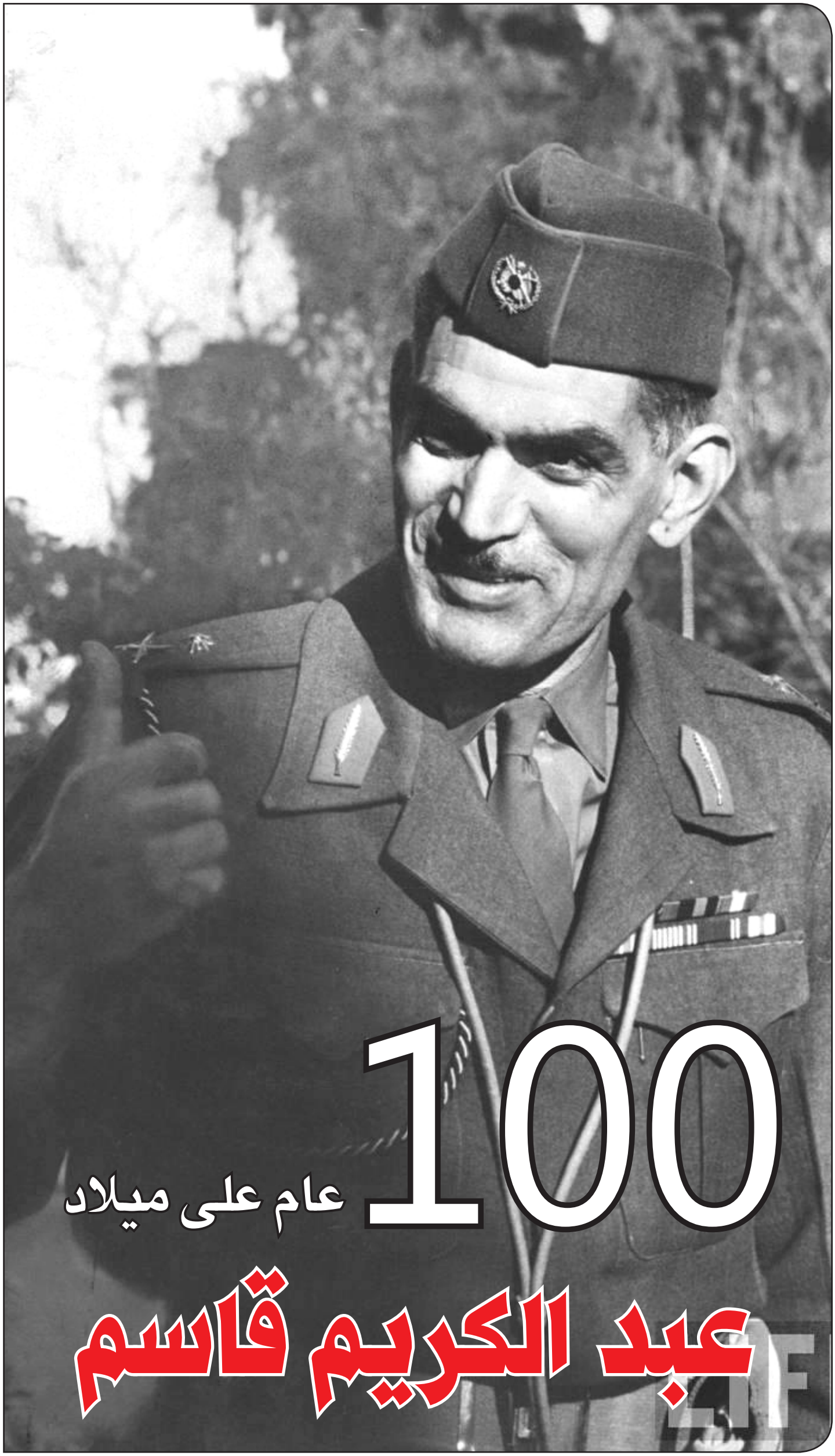

100 عام على ميلاد
عبد الكريم قاسم

ثـ 14 تموز

من زمن التوهج

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

العدد (3204) السنة الثانية عشرة

الخميس (30) تشرين الاول 2014

WWW. almadasupplements.com

4

من ماهيات سيرة الزعيم
عبد الكريم قاسم

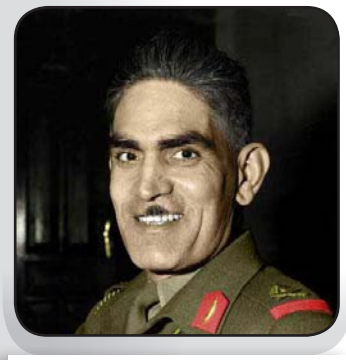

على ميلاد الزعيم

100

عبد الكريم قاسم
والطبقات الاجتماعية الفقيرة

حيدر عطية كاظم

قبل التطرق إلى مواقف عبد الكريم قاسم العامة من الطبقات والفئات الاجتماعية المختلفة، من المفيد جداً هنا أن نقف أمام نشأة عبد الكريم قاسم الاجتماعية والمؤثرات والعوامل الفكرية التي ساهمت في بناء شخصيته، وخلقت أفكاره ومواقفه في نهاية الأمر.

طبقاً لإحدى الوثائق الرسمية كانت ولادة عبد الكريم قاسم في ٢١ تشرين الثاني ١٩١٤، في محلة المهدية الكائنة في جانب الرصافة من بغداد، من أبوين عراقيين، فوالده قاسم محمد البكر الذي ينتمي إلى عشيرة زبيد القحطانية.

أما والدته فهي كيفية حسن اليعقوبي التي كانت تنتمي إلى عشيرة تميم العدنانية، كان عبد الكريم قاسم الأخ الأصغر لشقيقيه عبد اللطيف وحامد، وكانت له شقيقتان هما أمينة ونجية.

عاش عبد الكريم قاسم طفولة ضنكه في العيش ضمن أسرة فقيرة، كان والده يعمل نجاراً بسيطاً، مما يعني من بين ما يعني أنه ترعرع في بيئة عائلية صعبة، لكن ذلك لم يمنعه من تلقي تعليمه، فما أن بلغ الخامسة من عمره حتى أرسله والده إلى دار الكتاتيب، وهناك تعلم حروف العربية الأبجدية وحفظ بعضاً من قصار السور القرآنية الكريمة، وفي السابعة من عمره انتقلت عائلته إلى بلدة الصويرة الواقعة في جنوب بغداد، بسبب عدم تمكن والده النجار الإيفاء بحاجيات ومتطلبات عائلته الحياتية. لذا حاول قاسم الاستعانة بأخيه علي الذي كان يملك مزرعة. استقر قاسم في الصويرة ومارس الزراعة سعياً منه لإعالة عائلته وتحسين أحوالها المعيشية.

دخل عبد الكريم مدرسة الصويرة الابتدائية في بلدة الصويرة، وأمضى السنوات الأربع الأولى من دراسته الابتدائية قبل أن تعود عائلته إلى بغداد سنة ١٩٢٦. اختارت العائلة محلة قنبر علي التي كانت تضم طوائف وطبقات اجتماعية وأثنيات مختلفة، الواقعة في شارع الكفاح. تخرج عبد الكريم في المدرسة المأمونية الابتدائية في بغداد، أهله ذلك الدخول في المدرسة الثانوية المركزية الفرع الأدبي وحصل على الشهادة الثانوية في سنة ١٩٣١.

لعل شهادة أحد أساتذة عبد الكريم في الثانوية تساعدنا في رسم صورة معينة عن الطالب عبد الكريم قاسم عندما كتب ما نصه: "إنه تلميذ هادئ، يبتعد عن مخالطة زملائه، ويقضي فترة التنفس في زاوية منعزلة، فمظهره يعلن عن فقر الحال وفقدان المال، مكتئب النفس، عابس الوجه، ضعيف البنية، مشروم الشفة العليا من جهتها اليسرى وهذه العاهة على ما يبدو سببت له شعوراً بالنقص، جعلته منقبضاً على نفسه ويتجنب الاختلاط برفاقه والناس أجمع".

لاحظ بعض الدارسين لشخصية عبد الكريم قاسم تأثره الكبير بطفولته البائسة، التي عاشها في كنف عائلته التي كان وضعها يكتنفه العوز المادي إن لم نقل الفقر الواضح، لقد ترك كل ذلك أثراً عميقاً في تركيبته النفسية، حتى أنه كان دائم التفكير في وضعه الذاتي ووضع عائلته المادي والاجتماعي، محاولاً إيجاد المبررات المقنعة لذلك التفاوت الاجتماعي الكبير الذي كان يعيشه الشعب العراقي.

ظل موضوع التفاوت الطبقي والاجتماعي الذي لمسه عبد الكريم قاسم شغله الشاغل وموضوعه الأول حتى قاده ذلك إلى تبني فكرة المساواة الاجتماعية بشكلها المبسط . ولم يكن غريباً أن تصبح جزءاً أساسياً من لا شعوره الداخلي الذي يحفظ صوراً شتى عن الفقر والحرمان الذي عاشه عبد الكريم قاسم، فضلاً عن صور حياتية أخرى كثيرة. وعليه فقد كان عبد الكريم قاسم قليل الاختلاط بزملائه إلا في المناسبات العامة، ولم يكن ذلك بعيداً عن شعوره المستمر بالفقر والعوز الذي لازم حياته منذ طفولته المبكرة حتى صيرورة شبابه. أصبح عبد الكريم قاسم بعد دخوله الثانوية يعي بشكل أفضل مرارة التباين الطبقي، فلا غرابة أن يكون عبد الكريم قاسم شديد الحساسية إزاء القضايا الاجتماعية التي تحيط به.

أدى تعيين عبد الكريم قاسم معلماً في قضاء الشامية في تشرين الثاني ١٩٣١ إلى ارتفاع مستوى إحساسه بالفقر وآلامه على الذين يكابدونه، إذ اطلع عن كثب هناك على حالة الفقراء والمساكين والإملاق الذي يعيشون فيه، فقد كان أبناء الفلاحين يأتون إلى المدرسة بأسمالهم الممزقة وبأجسادهم الضعيفة، لقد كان ذلك مدعاة لعبد الكريم قاسم إلى أن يبحث في الأسباب المسؤولة عن الحالة التي أوصلت الفلاحين إليها، فوجدها في النظام الإقطاعي وظلمه الفظيع الذي أنزله بأولئك الفلاحين المساكين. زادت حياة البذخ والتخمة التي كانت تميز حياة الإقطاعيين تلك الفكرة (مسؤولية الإقطاع عن فقر الفلاحين) رسوخاً في عقل وفكر عبد الكريم قاسم. يمكننا أن نلاحظ هنا بدايات انحيازه لجانب الفقراء، إذ كان يرفض دعوات ولائم الإقطاعيين الباذخة، بينما كان فلاحوهم يتلوون جوعاً وتفتك بهم الأمراض المختلفة.

نشعر بأننا بحاجة إلى شهادة أحد طلابه في الشامية استكمالاً للصورة الأولية التي نحاول أن نرسمها لعبد الكريم قاسم. فقد ذكر هديب الحاج حمود الذي كان طالباً عند عبد الكريم قاسم، أنه كان هناك سكن ريفي لوالده الإقطاعي يطلق عليه القصر، اتخذه موظفو المنطقة مكاناً لسمرهم، إذ يجتمعون فيه بعد العشاء يتسامرون فيه، إلا عبد الكريم قاسم فقد كان يرفض الحضور إلى القصر.

من النافل القول، إن دخول عبد الكريم قاسم إلى الكلية العسكرية، التي كانت تضم أبناء الملاك والبرجوازية الصغيرة وقليل من أبناء الطبقة الفقيرة لم يغير من أفكار وقناعات عبد الكريم قاسم وخاصة وقوفه إلى جانب الفقراء من أبناء شعبه. فقد ظل يحس بما كان يعانيه الجنود من تعاسة العيش، ولا مبالغة في القول أنه كان الأقرب إليهم، فضلاً عن وقوفه إلى جانب بعض صغار الضباط الفقراء.

لم يكن بوسع عبد الكريم قاسم، الذي بلغ

مرحلة الشباب في مطلع ثلاثينات القرن الماضي، أن يبقى بعيداً أو بمعزل عن التيارات السياسية والفكرية التي زخرت بها الحياة السياسية العراقية، كالتيار القومي والتيار الاشتراكي والتيار الشيوعي. ومما يستحق الذكر هنا أن عبد الكريم قاسم قد حسم اختياره الفكري استناداً إلى قناعاته الأولية ووضعه الاقتصادي والاجتماعي بالإصغاء إلى نداءات وأفكار التيار الاشتراكي المتمثل بـ "جماعة الأهالي" الذي عرف بشعاراته التي كانت تخلب اللب، لاسيما فيما يتعلق بالعدالة الاجتماعية، ومعاداته للطبقات الغنية والمستغلة، ووقوفه إلى صف الفقراء. فقد شاء سعد حظ عبد الكريم قاسم والفقراء، أن يلتقي عبد الكريم قاسم في وقت مبكر من شبابه بأهم الشخصيات الاشتراكية آنذاك ألا وهو حسين الرحال ورفاقه مرات عديدة في مقهى النقيب في منطقة قنبر علي، وأن يسمع منهم الكثير من الأفكار التي راحت تدغدغ مشاعر وأحاسيس عبد الكريم قاسم المستعدة لتلك الأفكار أصلاً. ولا نأتي بالجديد أذا ما قلنا، إن عبد الكريم قاسم لم يعرف بقراءته المستمرة لجريدة "الأهالي" فقط وإنما، لمعظم إصدارات وكتابات "جماعة الأهالي". وعليه فقد نشأ عبد الكريم على أعجاب ملحوظ بأفكار ومواقف تلك الجماعة، وإعجاب أكبر بمواقف "الحزب الوطني الديمقراطي" الابن الشرعي "لجماعة الأهالي" وأفكاره العامة. ومع ذلك يمكننا أن نقرر باطمئنان أن عبد الكريم قاسم لم ينتم إلى أي جمعية أو حزب سياسي.

وجراء لكل ماتقدم كان من المنطقي جداً أن يتشرب ذهن عبد الكريم قاسم بأفكار إصلاحية مهمة، وأن يبلور موقفاً معيناً من الفقراء، وضرورة تحقيق نوع من العدالة الاجتماعية، والتقليل من التفاوت الطبقي الحاد والناجم عن احتكار فئة قليلة من العراقيين لثروة البلاد وحرمان الأغلبية منها. ولتوضيح ذلك نذكر هنا، أن عبد الكريم قاسم مر وجنوده بعد تمرين عسكري بمنطقة البتاوين التي كانت منطقة للأثرياء فخاطبهم قائلاً " أنظروا إلى هذه الدور أنها سوف تكون ملكاً مشاعاً لكم جميعاً في المستقبل" ومضى ليقول "إن المستغلين سوف يفقدون امتيازاتهم، والمحرومين ينالون حقوقهم".

ولايخلو من مغزى عميق، أن نلاحظ هنا، أن زيارته لبريطانيا قد عمقت في نفسه كثيراً بعدما لاحظ معنى الفقر والحرمان الذي تعيش في ظله الطبقات الفقيرة في العراق بالمقارنة مع حياة البريطانيين، الرغبة في إحداث التغيير والإصلاح الاجتماعي، وفي الوقت نفسه زاد اقتناعه بمسؤولية بريطانيا عن حالة الفقر المستشري في العراق.

ومن أجل فهم أعمق لشخصية عبد الكريم قاسم ومواقفه ننقل هنا شهادة محمد حديد القريب من عبد الكريم قاسم إذ أكد أن موقف عبد الكريم قاسم من كافة العراقيين موقف المساواة بين جميع المواطنين من أي عرق أو دين أو طائفة، وشعر المواطنون في عهده بأنه ليس هناك تمييز في التعامل معهم، وكان قاسم شديد الاهتمام بالوضع الاقتصادي والتركيز على التنمية الاقتصادية ورفع مستوى حياة الطبقات الدنيا. أما سكرتيره الخاص جاسم العزاوي، فقد وصفه بأنه رجلٌ بسيطٌ سواء أكان ذلك قبل ثورة ١٤ تموز أم بعدها. وعده كاتبٌ أخر بأنه، لا يطمع بالمال، ولا يحب العيش في القصور. بين الرياش الثمينة عيشة الملوك العظماء والأثرياء. بالمقابل أكد اللواء الركن ناجي طالب، أبرز أعضاء اللجنة العليا لتنظيم "الضباط الأحرار" وعدد كبير ممن عملوا مع عبد الكريم قاسم، أن قاسم كان وطنياً غيوراً، حاول مخلصاً خدمة شعبه، وأن يحقق بعض الإصلاحات التي كان يعتقد أنها تخدم الشعب العراقي .

وإذا ما انتقلنا إلى النقطة المهمة في حياة وسلوك قاسم السياسي والاجتماعي فإننا نقول إن عبد الكريم قاسم كان يمقت الطائفية، إن لم نقل إن تفكير وسلوك قاسم كان عابراً للطائفية . ولم نتجنَ على أحد إذا ما ثبتنا هنا أن تاريخ العراق المعاصر لم يعرف حاكما تجاوز طيلة حكمه الطائفية بشكل يستحق الإشادة مثلما فعل عبد الكريم قاسم، وعلية لم يكن غريبا أن يحتل هذه المكانة الكبيرة في نفوس وعقول أغلبية العراقيين. ربما تفيدنا هنا شهادة أحد المعارضين له المحسوب على التيار القومي آلا وهو الدكتور عبد الحسن زلزلة. الذي قيمه بهذه الكلمات التي لا تحتاج إلى مدارك كبيرة لفهم مدلولاتها إذ قال: "كان قاسم رجلا وطنيا وغيورا على أبناء شعبه لاسيما الطبقات الكادحة، دون النظر إلى انتماءاتهم العرقية والمذهبية، وكان في أعماقه يمقت الطائفية والطبقية بشكل غريب، وأعتقد أنهما من أهم الأسباب التي عجلت بسقوطه ".

مواقف عبد الكريم قاسم المبكرة من الطبقات والفئات الاجتماعية

لما كان الزعيم الركن عبد الكريم قاسم قد حسم خياراته وبشكل نهائي وفي وقت مبكر وهي الوقوف إلى جانب الفقراء، فإنه . لم تمضِ إلا أياما معدودة على انتصار ثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨، التي فجرها هو وبالتعاون مع العقيد الركن عبد السلام عارف، حتى أعلن تخفيض أسعار الخبز، وفي الوقت نفسه أعلن تخفيض أسعار الدقيق الذي كانت توزعه الحكومة على المخابز والأفران، على أن تتحمل الدولة الفرق بين كلفة الدقيق وسعره الجديد. لا شك في أن هدف عبد الكريم قاسم كان تمكين الفقراء الحصول على الخبز الذي يحتاجون إليه وبأقل الأسعار. فضلا عن ذلك حرص عبد الكريم قاسم على معرفة مدى تطبيق هذا القرار. ففي إحدى جولاته التفقدية للأفران وجد صاحب أحد الأفران واضعا لقاسم صورة كبيرة، فما كان منه إلا أن خاطب صاحب الفرن صغر هذه يقصد صغر حجم الصورة وكبر هذه أي الصمونة.

كما أمر عبد الكريم قاسم ومنذ الأيام الأولى للثورة بعدم التلاعب بأسعار الحاجيات الأساسية للشعب وتثبيت الأسعار عليها. واتخذ قراراً مهماً خاصاً بالطبقة العاملة العراقية يوم ٢٧ تموز ١٩٥٨، وهو جعل ساعات العمل وأجور الساعات الإضافية خاضعة لقانون العمل، بعد أن كانت خاضعة لاجتهادات شخصية. ومضى عبد الكريم قاسم في إجراءاته التي كانت يستهدف بها الكادحين والفقراء عموما. فأمر مصرف الرهون تسليف القروض المالية للعمال والمستخدمين من ذوي الدخل المحدودة بعد أن خصص لذلك مبلغ ٧٥٠ ألف دينار، على أن تسترد السلفة بأقساط شهرية بسيطة. وفي الوقت عينه أسس عبد الكريم قاسم صندوقا خاصا لتقاعد الموظفين والمستخدمين في الدوائر شبه الرسمية.

ولكي تكتمل الصورة وطبيعة مواقف عبد الكريم قاسم خاصة من الفقراء، فإننا نقول إنه من الموضوعات المهمة التي أولاها عبد الكريم قاسم اهتماما خاصا، فطالما كرر في خطاباته، أن هدفه الأساس هو رفع مستوى معيشة الفقراء إلى المستوى الملائم للحياة الإنسانية الكريمة. وفي مناسبة أخرى كان قاسم أكثر وضوحا، فأكد، أنه باستطاعتنا مساعدة الفقراء لرفع مستواهم إلى مستوى الأغنياء، دون العمل على المس بمستوى الأغنياء.

كما أولى عبد الكريم قاسم الطبقة الفلاحية اهتماما كبيراً. فقد ألغى أولاً نظام دعاوى العشائر الذي أثقل كاهل الفلاحين بالتزامات لم ينزل بها سلطان، وجعل الفلاحين يخضعون للقانون المدني شأنهم في ذلك شأن سكان المدن. بعد ذلك التفت إلى الإقطاع الذي أذل الملايين من الفلاحين العراقيين، فبعد جهود متواصلة استطاعت حكومة الثورة من صياغة الإصلاح الزراعي الذي دخل التاريخ بـ" قانون رقم ٣٠ لسنة ١٩٥٨" الذي أذاعه قاسم في مساء يوم الثلاثين من أيلول ١٩٥٨. قال عبد الكريم قاسم في بيانه موضوع البحث، إن من أهداف ثورة ١٤ تموز تحقيق الإصلاح الاجتماعي، وضمان العدالة بين أبناء الشعب كافة، وتحريرهم من عوامل الفقر وأسباب الخوف، وتخليصهم من الجهل والمرض. وأستطرد عبد الكريم في بيانه قائلا : "ولبلوغ هذه الأهداف لابد من رفع مستوى المعيشة للفقير إلى المستوى الملائم لحياة إنسانيه كريمة، وإن ذلك لا يتم إلا بتشريع قانون الإصلاح الزراعي الذي يعد القاعدة الأساسية للإصلاح الاجتماعي". بعد ذلك تعهد أمام الكل بأن الأرض ستوزع على الفلاحين ليصبحوا مالكين للأرض. يؤشر ذلك نهاية الإقطاع في العراق، وبداية لعهد فيه خير كثير لأبناء الشعب العراقي.

لا شك في أن عبد الكريم قاسم حقق جانبا مهما من أهدافه المتمثلة بتحويل الفلاحين الفقراء الذين كانوا يعانون من أشد أنواع الإمـلاق إلى مالكي الأرض الزراعية، ولا يستطيع أحد أن يشاركهم في إنتاجهم . وقد تم كل ذلك بإصدار قانون الإصلاح الزراعي. ولا مبالغة في قولنا إنه حرر ملايين الفلاحين من عبودية الإقطاعيين.

حرص عبد الكريم قاسم على متابعة تطورات تطبيق قانون الإصلاح الزراعي، فأذاع بصوته باعتباره رئيس الهيئة العليا للإصلاح الزراعي يوم ٧ كانون الأول ١٩٥٨ القائمة الأولى لكبار الإقطاعيين الذين خضعوا لقانون الإصلاح الزراعي، وتقرر الاستيلاء على الفائض من أراضيهم . ولم ينس عبد الكريم قاسم تحذيرهم من محاولات عرقلة تنفيذ القانون المذكور. وفي اليوم التالي، تلا عبد الكريم قاسم القائمة الثانية من المشمولين بقانون الإصلاح الزراعي.

مهما يكن من أمر، فإن عبد الكريم قاسم قام في الذكرى الأولى لثورة ١٤ تموز بتوزيع سندات تملك الأرض على عدد من الفلاحين . وعندها أظهر البعض الكثير من مظاهر الاحترام له، رد عليهم: "بأن هذا حقكم الطبيعي في هذه الأرض". لا بأس أن نورد رأي الكاتب الكبير حسن العلوي في ذلك، إذ قال: "كان الفلاحون يذكرون لعبد الكريم قاسم، أنه أعطاهم الأرض وعليه فإن قانون الإصلاح الزراعي فضيلة عبد الكريم قاسم الكبرى".

من المناسب أن نذكر هنا، أن عبد الكريم قاسم رحب أيما ترحيب بأسبوع معونة الشتاء الذي بدأ في الأول من كانون ألأول ١٩٥٨، والمشروع يهدف أولا إلى جمع الكسوة الشتوية للمعوزين من العراقيين، فهو لم يكتفِ بأن استهل الأسبوع المذكور بكلمة ألقاها من دار الإذاعة العراقية فقط وإنما، كان أول المتبرعين في هذا المشروع الإنساني وذلك من خلال تقديمه مبلغا كبيرا جدا حسب مقاييس تلك الفترة والبالغ قدره ١٥٠٠ دينار. وفي الوقت نفسه حث عبد الكريم قاسم كافة المواطنين المساهمة في هذا الأسبوع أن كان ذلك عن طريق التبرع بالأموال أو بالمواد العينية، من أجل الترفيه عن المعوزين ومساعدتهم في تحمل أعباء الحياة.

لما كان عبد الكريم من أصحاب النفوس الكبيرة، وأن حبه لوطنه ولشعبه كل شعبه لا حدود له ولا شائبة عليه، فإنه ليس غريبا أن يشمل برعايته حتى من أنزلهن القدر والظلم الاجتماعي إلى البغاء. فإنه لم يكتفِ بإسكانهن في مدينة الرشاد التي أنشأها خصيصا لهن وإنما، حرص على تأسيس عدد من المراكز في المدينة المذكورة لتعليمهن الخياطة والحياكة.

بعد ذلك كله، يبقى لنا أن نشير إلى موقف خاص لعبد الكريم قاسم يليق به فقط، وفيه قدرٌ كبيرٌ من نبل الفرسان القدامى، موقفٌ بلغ فيه ذروة المجد. فقد أهدى عبد الكريم قاسم بلدية الصويرة التي احتاجت إلى الأرض لبناء ثانوية للبنات، بيت عائلته الذي عاش فيه عدة سنوات، فضلا عن عدة بيوت لأقاربه كانت ملاصقة لذلك البيت. لا بد أن نترك عبد الكريم يوضح لنا ذلك إذ قال في كتاب أرسله إلى وزارة المالية في ٢١ أيار ١٩٦٠ ما نصه:

"يسرني جدا أن أضع تحت تصرف أبناء الشعب الدور والأملاك المسجلة بالطابو، وهي دور سكن في قضاء الصويرة كانت تعود إلى والدي وأقاربي، وقد قضيت فيها أيام طفولتي ودراستي الأولى حتى الصف الرابع". ومضى عبد الكريم قاسم في كتابه ليعلن رغبته أن يستفيد منها أبناء الشعب عندما قال : "وأرغب أن يستفيد منها أبناء الشعب في الجمهورية العراقية الخالدة، بشرط أن يجري توحيد هذا الإرث بقطعة واحدة تأخذ تسلسل ٢١/١/٢ وهي دار بيتي كنت أسكنها مع والدي وأهلي في الصويرة". بعد ذلك يشرح عبد الكريم قاسم هدفه من ذلك لله، وهو الاستفادة منها في بناء مدرسة أو معهد خيري، ولا بأس أن نترك عبد الكريم قاسم يوضح ذلك بالحرف الواحد: "يتم توحيدها وتسليمها باسمي لتوهب إلى الدولة وتسجل نهائيا باسم وزارة المالية وتهيأ لاستفادة أبناء الشعب منها كمدرسة للبنين والبنات أو معهد خيري".

عن رسالة (قاسم وسكان الصرائف في بغداد)

على ميلاد الزعيم

100

من ماهيات سيرة الزعيم عبد الكريم قاسم

ولد عبد الكريم قاسم في١٩١٤,١١,٢١، في محلة المهدية من رصافة بغداد، من أبوين عربيين هما : قاسم محمد البكر الزبيدي، وكيفية حسن يعقوب الساكني (عشيرة السواجن) التي يرجع نسبها إلى عشيرة تميم العدنانية.. أذكر ذلك بغية دحض الادعاءات الخاطئة التي تدعي أن والدة الزعيم غير عربية [أقرأ أن والدته من المذهب الشيعي]، لقد انطلى هذا الادعاء حتى على باحثين مرموقين ولهم مكانتهم العلمية في الشأن العراقي مثل الأكاديمي المعروف حنا بطاطو الذي نسب والدة الزعيم إلى قومية أخرى(كردية فيليه).

د. عقيل الناصري

تكونت عائلة قاسم محمد البكر، حسب تاريخ الميلاد، من الأبناء : حامد أكبر الأشقاء الذي تزوج من بنت عمه الرئيس علي محمد البكر، وكان حامد يشتغل دلالاً للحبوب ؛ وتأتي بعده أمينة زوجة ياسين محمد صالح القيسي ؛ ثم عبد اللطيف نائب الضابط في القوة الجوية والذي بقي على رتبته العسكرية لحين تقاعده ، وكان ساكنا في إحدى الدور الحكومية الصغيرة في منطقة (تل محمد) التي استلمها قبل ثورة١٤ تموز، وبقي فيها إلى أخر حياته؛ ثم نجية زوجة ابن عمتها الزعيم الركن عبد الجبار جواد، وأخيراً عبد الكريم.

ولعبد الكريم قاسم خالتان هما:عكاب حسن اليعقوب ، والدة العقيد فاضل عباس المهداوي والثانية وصف حسن اليعقوب التي تولت العناية بالمهداوي بعد وفاة والدته المبكر. كما ولعبد الكريم قاسم خالان هما : محمد حسن اليعقوب، وكان من أبطال المصارعة آنذاك وقد توفى في عمر مبكر ، ومطلك حسن اليعقوب ، الذي أستشهد في إحدى الحملات العسكرية عندما كان مجنداً قسرياً في الجيش العثماني (السفر بر) كما أطلق عليه العراقيون آنذاك. ولعبد الكريم عم واحد هو علي محمد البكر ،الذي كان ضابطاً في الجيش العثماني برتبة الرئيس

عندما كانت شمس يوم ٢١ تشرين الثاني ١٩١٤، تنحدر إلى مغيبها .. كانت هناك في محلة المهدية في صوب الرصافة ببغداد ، امرأة تتلوى من ألم المخاض .. وطال بها المخاض .. فتوافدت النسوة الساكنات إلى جوار بيت حسن اليعقوب الساكني ، الملاصق لبيت حمودي الدواح ، في ذلك الزقاق الضيق القديم ، حيث المرأة الملتوية من الألم ، المشرفة على الوضع !

وكان يقف إلى جوار (المرأة) صبيان وطفلتان صغيرتان، ينظرون جميعهم إلى أمهم (كيفية بنت حسن اليعقوب الساكني) بعيون ممتلئة بالدموع، ووجوه كلها عطف وحنان ..

(النقيب). وقد أستشهد أثناء دفاعه عن بغداد أمام الاحتلال البريطاني عام ١٩١٧، ولم يخلف سوى بنت واحدة تزوجها حامد قاسم. كما كان جد عبد الكريم قاسم يملك محلاً للجلود في بغداد، كما تقول بعض المصادر.

يصف احمد فوزي ولادة عبد الكريم قاسم على النحو التالي:

[عندما كانت شمس يوم ٢١ تشرين الثاني ١٩١٤، تنحدر إلى مغيبها .. كانت هناك في محلة المهدية في صوب الرصافة ببغداد ، امرأة تتلوى من ألم المخاض .. وطال بها المخاض .. فتوافدت النسوة الساكنات إلى جوار بيت حسن اليعقوب الساكني ، الملاصق لبيت حمودي الدواح ، في ذلك الزقاق الضيق القديم ، حيث المرأة الملتوية من الألم ، المشرفة على الوضع !

وكان يقف إلى جوار (المرأة) صبيان وطفلتان صغيرتان، ينظرون جميعهم إلى أمهم (كيفية بنت حسن اليعقوب الساكني) بعيون ممتلئة بالدموع ، ووجوه كلها عطف وحنان .. ويدعون الله عز وجل أن ينقذ أمهم ، وأن يريحها من هذه الآلام!

وكانت شقيقتاها (عكاب بنت حسن) و(وصف بنت حسن) تقفان إلى جانبها، تعاوناها ، ريثما تأتي المولدة (القابلة) لتوليدها.وقبل أن ينتصف الليل ، دخلت الدار (المولدّة) العجوز ، وتطلعت إليها العيون جميعا تستحثها على إنقاذ (الوالدة).وكشفت المولدّة

على المرأة المتعبة من ألم المخاض .. وأطلقت صيحة خافتة : إنها في إعسار وخطر.وقامت من مكانها ، وتوجهت نحو الزوج (جاسم محمد البكر) الواقف بانتظار النتيجة ، وبجانبه أولاده الأربعة الصغار، وقالت له :

– أن زوجتك في خطر .. وان الوليد بخطورة أيضاً.. هل تريد الأم .. أم الطفل؟

فتلفت (جاسم محمد البكر) – وهو واقف في بيت عمه (والد زوجته)– وأجال النظر في وجوه أولاده الصغار،، ولم ينطق ببنت شفة..!

وفهمت (المولدّة) العجوز ، إن الرجل يريد إنقاذ الأم ، لأجل هؤلاء الصغار.. في الأقل ! وعندها رفع (جاسم محمد البكر)، رأسه إلى السماء – وكان تقياً ورعاً– فدعا الله عز وجل أن ينقذ زوجته(كيفية) من هذا البلاء..!

انطلقت صيحة من الأم وانطلق بعدها صراخ الوليد الجديد ..وركن الوليد إلى جانب أمه. واهتمت (المولدة) والنسوة جميعهن بالأم ، خوفاً أن تقضي نحبها بعد أن نزفت كثيراً من الدماء...]

إن أكثر الدلائل المادية المتوفرة تشير إلى وضع العائلة الاقتصادي البائس ، حيث ولد الطفل عبد الكريم وعاش فترة شبابه، في بيت لازمته الحاجة والعوز المادي ولفترة طويلة نسبيًا، إذ كان أبوه يعمل في النجارة و يستمد المعونة المادية من أخيه علي محمد البكر، الذي كان ،آنذاك، يخدم في مقر الجيش العثماني السادس عشر في بغداد. كما يمكن الاستدلال على وضعه المادي السيئ من واقع المنزلة الاجتماعية لمحلة سكناه، إذ كانت محلة المهدية، ولا تزال، إحدى المناطق الشعبية التي تقطنها العوائل الفقيرة والكادحة ،وتجاورها محلات النازحين إلى بغداد من أرياف العراق برمته وخاصة من شمال بغداد القريبة.

لقد كان الطفل عبد الكريم مرهف الحس منذ طفولته ، وكان دائم التفكير في وضعه الذاتي ووضع العائلة المادي والاجتماعي. وكان يحاول منذ نعومة أظفاره البحث جاهداً عن مبررات مقنعة لذلك الوضع الذي أثر في نفسيته بقوة جعلته [قليل الاختلاط بزملائه في المدرسة ... وكان صبوراً جداً، فإن أراد أو اشتهى شراء شئ يلزمه ورأى ظروف أبينا المالية لا تسمح .. ينتظر .. وقد يطول به الانتظار دون أن يضج أو يشكو ...]

هذه الوضعية الاجتماعية وواقع عمقها القاسي ستؤثر لاحقاً في ماهيات منظومة أفكار الشاب عبد الكريم قاسم، إذ تأثر منذ ريعان شبابه ب ○ فكرة المساواة □ وتبناها كحلقة مركزية في مشروعه اللاحق وأصبحت تمثل المبدأ الأول من منظومة أفكاره. لذلك انصب اهتمامه على كيفية محاربة الفقر واجتثاث مقوماته المادية ما أمكن ذلك. كما انعكست حتى في شعوره الداخلي وفي ممارساته الحياتية، التي تعمقت بصورة خاصة بعد أن تفهم مسببات الفقر والتفاوت الطبقي من الناحية النظرية ، الذي أقترن بالإدراك السياسي الحسي لواقع البلد بعد احتلاله وما نجم عنه من مؤسسات ونظم وقواعد للحكم تأسست على أسس خاطئة ومن ممارسات عملية عمقت هذه الأخطاء وذات التفاوت ، وما رافقها من انتفاضات شعبية عبرت عن رفضها وسخطها لهذه السلطة وأسس تكوينها وتوجهاتها الاجتماعية /الاقتصادية والسياسية وعلى ارتباطاتها الغربية(بريطانيا).

واستنطاقاً لما ذكر، فقد كان عبد الكريم قاسم دائم الصراع مع واقع الفقر وفكرته، حيث كان يكرهه بصورة غير عادية ويرى فيه عقبة أمام تطور الفرد والمجتمع، لأنه خبر الوضع الاجتماعي والنفسي للأفراد الفقراء وعرف معاناتهم في الحياة وصراعهم من أجل القوت اليومي. لقد تحسس بكل حواسه ذلك الألم، لذا عندما تسلم قيادة إقرار القرار المركزي للدولة كان يصرح دائماً دون حياء وبعزة نفس : [أني ابن الفقراء .. أنني فقير.. شخص فقير وجدت وعشت في حي الفقراء وقاسيت زمناً طويلاً مرارة العيش ، ولكننا نملك الغنى ، غنى النفس وكنا نملك الغنى، غنى الأباء.

واقع الفقر والعوز الذي رافقته كظله وصعوبة إمكانية تجاوزها وانتقال الوالد من مهنة إلى أخرى ومن مدينة إلى ثانية .. عوامل كانت كافية لدفع الفتى عن الوسط الاجتماعي والقذف به بعيداً عن منظومة الأفكار المحلية السائدة والتزاماتها الانتمائية من طائفية وعشائرية وأثنية. كما دفعته إلى التعمق في دراسة الأسباب الكامنة في التباين الاجتماعي ومدى قدريته. لذا نراه ينسجم مع الخدمة بعيداً عن العاصمة (المركز الحضاري) ويلتحق بالعمل في المناطق النائية حيث ستتعمق معارفه العملية أكثر فأكثر على هذا الواقع الشديد التعقيد والتخلف. أن الهلع والمعاناة والألم الحزين في التراجيديا، أيكل تلك الحالات التي تنحشر في وعي الذات ، كما يقول هيغل ، لتشكل طريق التنقية والخلاص والذي كان يجري في خطاه كل ما كان ينبغي له أن يحدث، ذلك الوعي نستخلصه من الممارسات الواعية التي أنصب الخطاب القاسمي على التأكيد عليها والتي تمحورت حول الارتقاء بالذات الإنسانية إلى مصاف أعلى.

هذه الظروف الحسية والأوضاع المادية، عمقتها قراءاته للأفكار الحديثة

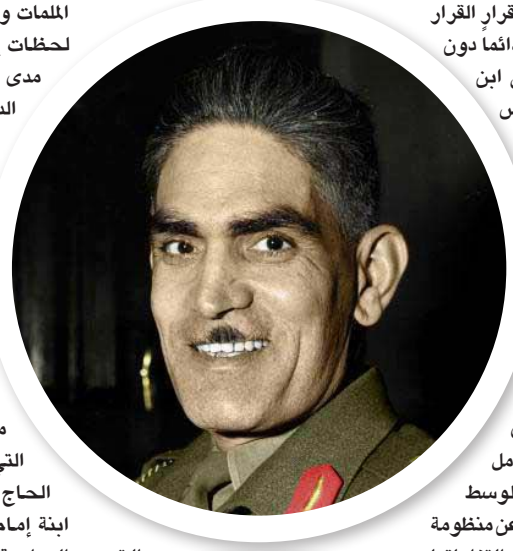

التي بدأت جماعة الرحال تبشر بها عبر حلقاتها الثقافية ، وجريدتهم (الصحيفة) وما تيسر بنشرها في الجرائد الأخرى في عراق عشرينيات القرن المنصرم، والتي كان صديق طفولته مصطفى علي يزوده بها. قد صهرت هذه الأفكار الشاب قاسم في أتونها لتكون منه رجلاً ذو رسالة ، يسير في دروب الحياة المحفوفة بالمخاطر والصعاب. أنه يتماثل وما قال نتشه في إن : [العظيم من الرجال يبحث دائما عن الحياة المحفوفة بالمخاطر التي تتفق مع طبيعته ورسالته نفسها، حيث تتطلب منه أن يُصهر في النار ليبدو في أسمى قوته، أما الرجل المتوسط المواهب والكفاءات ، فهو ينشد لنفسه دائما حياة هادئة ، ولا يرغب لنفسه بمأساة ، بل ليس هو في حاجة إليها ..هذا الصنف لا يرغب في تحمل تبعات تاريخية ، بل يتفاداها ولا يبحث عن الآلام ، بل تفرض عليه فرضاً، غير أن عذاب الإنسان المغمور أدعى للشفقة من عذاب الإنسان الممتاز، لأنه كرجل الفن شعر بالسعادة حين يعبر عن ذلك العذاب بآثار فنية] .

وعند دراسة سيرة حياة الزعيم قاسم العسكرية ومواقفه السياسية في الملمات وعند إدارته للحكم وحتى عند لحظات إعدامه ، أكدت بكل أبعادها مدى انطباق القول أعلاه على رجل الدولة الذي غيّر من مسار تاريخ عراق القرن العشرين.

في الخامسة من العمر يدخل الطفل كرومي (أسم التدليل الذي يطلقه العراقيون على كل من يحمل أسم كريم) إلى أحد الكتاتيب مقابل جامع الفضل بن ربيع ، ليتعلم القراءة والكتابة ويحفظ ما تيسر له من القرآن الكريم التي كانت تديره [الملاية فاطمة الحاج مصطفى عبد الله الجبوري) ابنة إمام وخطيب جامع الفضل. هذه الدراسة مكنته من الولوج المبكر في عالم القراءة، التي سيشغف بها في مراحل عمره القادمة، كما مكنته من امتلاك أسس اللغة العربية.

وتحت وطأة الحاجة والفقر التي أصابت الطبقات الفقيرة بعد الاحتلال البريطاني وتغير نمط الحياة الاقتصادية وسرعة إيقاعها وما نجم عنها من تضخم اقتصادي ، تسافر العائلة عام ١٩٢١ إلى مدينة الصويرة، ليعمل رب الأسرة في أرض تعود ملكيتها إلى أخيه الضابط المستشهد. آنذاك يدخل الصبي عبد الكريم المدرسة الابتدائية ويدرس فيها لمدة أربع سنوات، قبل أن تعود العائلة إلى بغداد ثانيةً عام ١٩٢٦، وتسكن هذه المرة في محلة[قمبر علي] ، المجاورة لمحلته السابقة، والمعروفة أيضاً بفقر ساكنيها وتعدد انتماءاتهم ألا ثنية والطائفية..من عرب وكرد، يهود ومسيحيين، مسلمون ، سنة وشيعة، بغداديون و متريفيين نزحوا من القصبات والقرى. بمعنى أخر عاش في وسط اجتماعي خليط، عكس أغلب مكونات الواقع الاجتماعي/ الاثني للمجتمع العراقي.

لقد شكلت هذه المعايشة الاجتماعية ، إضافة نوعية جديدة إلى منظومة أفكار الشاب عبد الكريم والتي تمحورت حول فكرة [الهوية الوطنية العراقية]، حتى أصبحت ، فيما بعد، المبدأ الثاني في منظومة أفكاره.إذ نظر إلى العراقيين كنسيج اجتماعي متحد يمثل مختلف الأثنيات والتكوينات الدينية والمذهبية ، لذا لم يتعصب إلى واحدة منها، فعروبته هي امتداد لعراقيته، وإسلاميته لا تتعارض مع الديانات الأخرى ولم يفضل مذهب على أخر، وهذه الحالة ناجمة في بعض جوانبها ، من بيئته العائلية ذات الانتماء المذهبي المختلط . لذا حارب الطائفية في الحكم والتي كانت قائمة منذ تكوين الدولة العراقية، وقد أدرك إن تلاحم الهوية الوطنية لا تستوعب النظرات الضيقة والمناهج الجزئية.

[من يقرأ تاريخ ١٤ تموز عام ١٩٥٨ ، لابد أن يلتمس نسيجها الوطني المعادي للطائفية والعنصرية ، ولا نجافي الحقيقة إذا قلنا أن العراق لم يشهد طيلة تاريخه الحديث حاكماً يمقت الطائفية كالزعيم عبد الكريم قاسم الذي عمل طوال فترة حكمه والتي استمرت أربعة أعوام ونصف تقريباً وبشكل متواصل ودؤوب على إلغاء الطائفية من برامج الدولة العراقية ، مما جعله يتبوأ مكانة خاصة في نفوس العراقيين على اختلاف عقائدهم ومذاهبهم ، فالمعارضون والمناصرون لقاسم لا ينكرون هذه الحقيقة.

وفي ملف الزعيم عبد الكريم قاسم شيئان لم يستطع أحد من المقربين إليه اكتشافهما ، وهما انتسابه العشائري وولائه المذهبي. وفي المقابل هنالك شيئان أوصلا العراق إلى حافة الكارثة (إن لم تكن الكارثة بعينها –الناصري) فيما بعد وهما تعصب الحاكم للعشيرة وولائه الطائفي. وربما تكون النشأة العائلية المتوازنة للزعيم قد ساعدته على ذلك . فقد نشأ في مدينة محايدة لم تنشغل بقضايا العداء الطائفي أو العنصري، فقد ترعرع الزعيم في عائلة كريمة من سواد الناس والتحق بالجيش في ريعان شبابه وشارك في معارك فلسطين عام ١٩٤٨ ، كل ذلك منحه ثقة عالية بالنفس وعصامية لا تفخر بالاحساب وبالأنساب. ولهذا اكتفى باسمه الثنائي دون ذكر العشيرة أو اللقب أو اسم الجد ... ولو استمر قاسم بالحكم فترة أطول لكان قد وضع المسمار الأخير في نعش الطائفية ،حيث كانت سياسة التدرج بإلغاء التمايز الطائفي التي سار عليها ، قد أثارت المخاوف في نفوس غلاة الطائفية ، فقد عثر انقلابيو ٨ شباط عام ١٩٦٣ في مكتبه على مسودة القانون الجديد للجنسية العراقية والذي كان سيلغي

على ميلاد الزعيم

100

القانون القديم الذي يُقسم العراقيين إلى مواطن من الدرجة الأولى والثانية ، والذي أستغله صدام فيما بعد لتهجير أكثر من نصف مليون مواطن].

ينهي الصبي عبد الكريم دراسته الابتدائية من مدرسة الرصافة عام ١٩٢٦ ، ويتخرج منها في العام التالي ليدخل الثانوية المركزية –الفرع الأدبي وينتهي منها بتفوق في عام ١٩٣١. وقد أشار العديد من أساتذته وزملائه الطلبة إلى حالة تفوقه العلمي، مقارنةً بأقرانه الطلبة، وما كان يتمتع به من سرعة البديهة والذكاء. كما رصد أساتذته أثناء دراسته تذوق الطالب عبد الكريم قاسم للأدب العربي ، إذ كان يحفظ الكم الوفير من جماليات الكنوز الشعرية العربية. لقد كان معجباً، من شعراء تلك المرحلة بالشاعر معروف الرصافي حسب قول أستاذه في اللغة العربية آنـذاك محمد بهجت الأثـرى. ويفسر في بعض جوانبه لأنـه كـان متـأثراً بمواقفه السياسية المناهضة للمشروع البريطاني في العراق وفلسطين.

تحت وطـأة حاجة العائلة و تحسين وضعها الاجتماعي و توفير حدود معقولة لها من العيش والخـروج من ضرورات العوز المادي المزمن، يحسم الشاب عبد الكريم الصراع الداخلي الذي كان يعاني منه في الاختيار بين تحقيق طموح الذات الفردية ، لإكمال الدراسة الجامعية الطامح إليها ، أو العمل ومساعدة الأهل. لقد أخذ بالرأي الأخير وتم تعينه في وزارة المعارف بـتـاريـخ١٩٣١,١٠,٢٢ بوظيفة معلم وينسب إلى إحدى المدارس الابتدائية في قضاء الشامية.

لقد أستفز مكان العمل (الريف المتخلف ومنظومة قيمه العشائرية) كوامن مشاعره، نظراً لما لمسه من هول الفوارق الاجتماعية والتخلف الحضاري بين بغداد وبقية المدن الريفية؛ بين الفلاحين المعدمين و الشيوخ وسراكيلهم ، الذين بـدأت تـوا عملية تحولهم إلى طبقة اجتماعية جديدة، وما رافق ذلك من طرد كيفي واسع للفلاحين، أقترن بالتعسف والقسوة ، وهجرتهم إلى حواضر المدن القريبة. "ولعل هذه الأونة كانت واحدة من أكثر الأونات في حياته أثرًا وأبعدها غوراً حتى طبعت نفسه بطابعها مدى ما عاشه بعدها من سنيه" .

هـذه الـظـروف طرحت عـلـى المعلم الشاب ضرورة تفسير هذه الظواهر ومسبباتها والعلاقات والقيم السائدة فيها والمستنبط من العالم المعزول، والحـضـور الـقـوي المكثف للخرافة والفنتازيا ، والإحساس المبهم بالزمان والمكان. لذا حاول تفسيرها من خلال القراءة المعمقة، لما متوفر له من أدبيات سياسية وعلمية آنـذاك ، للمواضيع الاجتماعية والتاريخية ، ليسبر غور هذه الظواهر ويجد تفسيرات للوضع السائد واللامعقول.اعتكف مع ذاته ليتحاور وإياها في الوضع العام فكان كما قـال مدير مدرسته في حينه أن: [المعلم عبد الكريم قاسم ملفت للنظر بوداعته وقلة كلامه وحدبه على طلابه وبعده عن أي نـوع من القساوة التي كان يمارسها الكثير من المعلمين حين يستثيرهم الطلاب الأشقياء]. كما أنه كـان خـلافاً لـزمـلائـه المعلمين، يرفض الجلوس في مضايف الشيوخ لأجل قتل وقت الـفـراغ بـعـد انـتـهـاء الـدوام الرسـمـي، إذ غـالـبـاً مـا كـان يـخـرج ، بصحبة كتبه في أغلب الأوقـات، إلى عمق الريف مستطلعاً الحياة اليومية الواقعية ومحـاوراً ذاتـه عن المحيط الاجتماعي ومظاهره ، عن هذا الوضع البائس الذي يلفه بكل أبعاد كينونته الحية. كان يؤثر العزلة على مخالطة الناس الذين ينعدم إحساسهم بالوقت ولا يشعرون بأهميته. كما كان أميل إلى حوار النفس منه إلى حوار الغير. أكد هذه الحالة هديب الحاج حمود ، الذي أصبح وزيراً في الحكومة الأولى للثورة ، وكان طالباً في الصف السادس في مدرسة الشامية آنذاك، بالقول :[أن عبد الكريم قاسم كان معلماً ناجحاً في درس اللغة الإنكليزية وكان منعزلاً عن زملاءه وعن سكان القضاء ، فلم يقم أية علاقة صداقة مع أي شخص قي قضاء الشامية بالرغم من أن زملاءه المعلمين كانوا يترددون على مجالس الضيافة في القضاء.]

يقول حسن العلوي : [لم يكن عبد الكريم قاسم في بيته اجتماعياً ،ولم يكن سياسياً ، كانت العسكرية عالمه كله. ولعل ذلك ساعده على عدم كشف نـواياه الثورية ، كما ساعدته عزلته عن الناس وميله إلى الحـوار النفسي والعمل بنظرية المونـولـوج بـدلاً من الدايلوج. ويبدو أن الأشخاص الذين مارسوا النظرية الأولى ساهموا في صـنـاعـة الـتـاريـخ، بينما لم يستطع أصحاب النظرية الثانية أن يصنعوا شيئاً لا للتاريخ ولا لأنفسهم.]

لم ترق مهنة التدريس إلى نفسية المعلم عبد الكريم ، لـذا حـاول تركها ، رغم معارضة أقرب أصدقائه لهذا القرار، والـذيـن كـانـوا يـعـتـقـدون إنـهـا المهنة الأقرب إلى وضعه الاجتماعي والنفسي وبنيته الجسمانية التي كانت آنـذاك ضعيفة متصفة بهزال عام، إضافة إلى التشنج الذي أصيبت به يده اليسرى أثناء اشتغاله بالنجارة مع والده أيام طفولته.

ومع ذلك ترك مهنة التدريس ، واعتبرت هذه من المبادرات العملية الأولى التي نمت عـن قـوة شخصيته وطموحه الذاتي، ليلتحق بالكلية العسكرية بناءً على النصيحة، المتوافقة مع مزاجه، التي أسداها له أبـن عمته عبد الجبار جـواد والـذي كـان لـه ذات الطموح في الانتساب للكلية العسكرية، وشد من أزرهـمـا الضابط الطيار، محمد علي جواد، والذي تأثر به عبد الكريم قاسم، والكثير من الضباط الشباب خريجي المدرسة العسكرية العراقية، إذ كان يعتبروه مثله الأعلى، حيث سار على ذات سلوكياته في التعامل مع الحياة السياسية والمهنية والمحيط الاجتماعي. كما كان قدوته نظراً لما أشتهر به من روح وطنية عادت توجهات السلطة المتماهية في تحالفها مع البريطانيين الذين كان يعتبرهم سببا لتخلف الجيش العراقي وعـدم تطويره وخـاصـة من الناحية النوعية، ولما قام به (محمد علي جواد) من تطوير القوة الجوية العراقية عندما أصبح أول قائدا لها، ولما أشتهر به من تواضع وانضباط واحـترام المراتب الدنيا من ضباط صف وجـنـود..إذ [كـان الـطـيـارون وعـلـى رأسـهـم محمد علي جواد يتعاملون مع ضباط الصف والجنود معاملة سبورت أي من دون عجرفة عسكرية بيروقراطية ، ولم يكن للإضراب الصامت(الذي قام به منتسبوا القوة الجوية- الناصري) نتائج سلبية كالطرد والملاحقة فالروح الوطنية كانت هي السائدة بين الطيارين. أما في سائر القطعات العسكرية فالعصا هي السائدة في العلاقة بين الجنود والضباط].

كانت المدرسة الثانوية الوحيدة في بغداد آنـذاك،وكـانـت تضم بالأساس أبـنـاء الـنـخـب الـسـيـاسـيـة الحاكمة والعوائل الأرستقراطية وعلية القوم. هذه الوضعية حفزت الطالب عبد الكريم قاسم على مجـاراة زمـلائـه الطلبة من خلال تفوقه العلمي رغم فقره المادي.

للمزيد راجـع مـا نقله احمد فـوزي عن لسان أساتذته وزمـلاءه في كتابه،عبد الكريم قاسم وساعاته الأخيرة، مصدر سابق. كذلك مشتاق طالب في كتابه، أوراق أيامي ١٩٥٨-١٩٠٠، دار الطليعة بيروت ، والذي تذكر عبد الكريم قاسم في الصفحة ٥٦٨ بالقول:[أنـه تلميذ قديم من تلامذتي في المدرسة الثانوية المركزية في بـغـداد سنة ١٩٢٧ ، إنـه تلميذ هـادئ يبتعد عن مخالطة زمـلائـه ويقضي فترة التنفس في زاوية منعزلة ، مظهره يعلن عن فقر الحـال وفقدان المـال ، مكتئب النفس عابس الـوجـه، ضعيف البنية، مشروم الشفة العليا من جهتها اليسرى ، وهـذه العاهة على ما

قاسم في كربلاء

يبدو سببت له شعوراً بالنقص جعلته منقبضاً على نفسه، يتجنب الاجتماع برفاقه وبالناس أجمع.]

ذكر الزعيم عبد الكريم ذلك في خطاباً لـه ألـقـاه في المـؤتمـر الأول للتربية والتعليم في ١٥ أيلول ١٩٦٠ [ما زلت ذلك الفرد البسيط من زمرتكم ، من زمرة التعليم ، فقد سبق لي أن اشتغلت بمهنة التعليم مدة من الزمن وخبرت بنفسي الصعوبات والمصاعب التي يعانيها ويلاقيها أخواني وأخواتي المعلمون والمعلمات] ، ، مستل من ليث الزبيدي، مصدر سابق، ص.٣٢٥

التحق المعلم عبد الكريم قاسم بالكلية العسكرية في خريف١٩٣٢، والتي بدأت بإتباع سياسية التوسع الكمي والتطوير النوعي من خلال تحديث شروط القبول فيها، بعد حصول العراق على استقلاله السياسي (!!) وانتهاء مرحلة الانتداب .حيث بـدأت الحكومات المتعاقبة الاهتمام بالجيش باعتباره الأداة التي ستحافظ على الاستقلال السياسي. إذ أعلنت وزارة الدفاع حاجتها إلى ضباط جدد وأن الكلية العسكرية ستقبل عددا أكبر من الطلاب، خاصة خريجي المرحلة الإعدادية. لذا تقدم العديد من الموظفين والمعلمين بطلبات الانتساب للكلية المذكورة، وكان من بينهم المعلم عبد الكريم قاسم، الذي قُبل تلميذاً فيها بتاريخ ١٩٣٢,٠٩,١٥. ودرس في الكلية مدة عام ونصف، وتخرج منها في ١٩٣٤,٠٤,١٥، برتبة ملازم ثان، ليساهم بإبداع ، من ذلك التاريخ، في أغلب الحركات العسكرية التي خاضها الجيش العراقي الداخلية والخارجية ، مما أهله إلى أن يمنح العديد من انواط الشجاعة والتقدير، كان أولها لمشاركته في حركات الفرات عام١٩٣٥.

أثناء دراسته في الكلية ، أندمج عبد الكريم قاسم في الحياة العسكرية كما اندمجت هي في كل كينونته، وتألق فيها بعدما أستوعب موادها وأنظمتها، جديتها وانضباطها ، حتى غدت العسكرية، بمفهومها الواسع، عالمه الروحي والمادي بكل شموليته، وأصبح مزاجه النفسي متلائماً وإياها بصورة أدهشت أقرب المقربين إليه من الذين حاولوا إقناعه بعدم الانتساب إليها في حينه.

ولأول مرة بدأ يحس حقيقة كيانه .[ففي هذا الجو كانت الشجاعة والانضباط هما معيار الاعتبار والتقدير وليست المنزلة الاجتماعية، وهنا استطاع أن يستعيد ثقته بنفسه ، لا لشيء إلا لأنه كان تلميذاً منضبطاً قوي البنية] (٢١ . كما أظهر سجله في الكلية العسكرية، مدى جديته وتفوقه في أمور لم يسبق أن تفوق فيها كما في دراسته العسكرية ، مما أكسبه رضى ذاته ورؤساءه والمحيطين به من الطلبة.

ومن نافلة القول لوحظ نمو الوعي الوطني العراقي لدى هذا الجيل الجديد وخاصة بين الضباط الصغار وطلبة الكلية العسكرية، بتأثير مجموعة من العوامل الموضوعية والذاتية للبلد وللمؤسسة العسكرية، إذ لعب الضباط المناوئين لتوجهات النخب السياسية الحاكمة وقوى الانتداب آنذاك، دوراً في بث الوعي الوطني والتشرب بروحه والتعجيل بالاستقلال السياسي ؛ كما ركـزوا على المطالبة بتطير الجيش نوعياً وكمياً من خلال تعميم التجنيد الإجباري التي كانت ترفضه السلطات البريطانية. كما لعب بعض أساتذة الكلية العسكرية دوراً مهماً في ذلك، منهم الضابط توفيق حسين، الذي من خلال تدريسه لمادتي التاريخ والجغرافية العسكريتين، كان يركز على التوعية السياسية لطلبة الكلية ويوزع عليهم الكتب السياسية التثقيفية المناهضة لبريطانيا ومشاريعها في المنطقة. كما كان يتهم بحق الشريف حسين وأبناءه بتواطئهم مع البريطانيين.

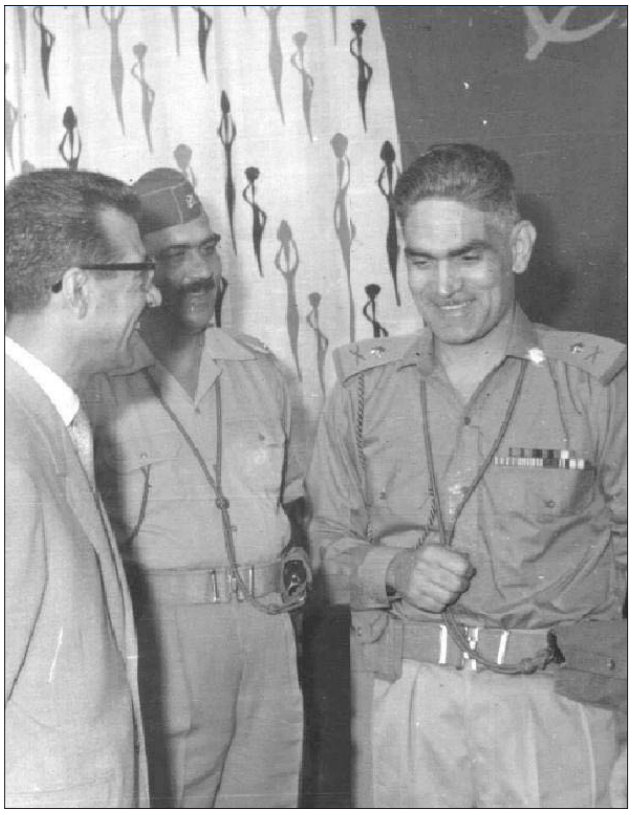

قاسم مع الدكتور فيصل السامر

بالإضافة إلى أن تلك الفترة التي نشأ فيها وترعرع الجيل الجديد من الضباط قد شهدت مقاومة عنفيه وسلمية عنيفتين ضد الانتداب البريطاني من قبل قاعدة اجتماعية عريضة من السكان .لذا شبوا (ومنهم عبد الكريم قاسم) على كره السيطرة الأجنبية،التي لم توفر النفع والخير إلا لنخب الحكم وعوائلهم.

في هـذه الـفـترة المبـتـدئـة مـن مطلع الثلاثينيات ، أطلع الشاب عبد الكريم لأول مرة على الأدبيات التقدمية ومنها الماركسية، من خلال حلقات أصدقائه العاملين في الحقلين السياسي والأدبي، ضمن المعارضة الوطنية العراقية التي كان يتزعمها آنذاك محمد جعفر ابو التمن ومجموعة الأهالي قبيل انشطارها إلى الاتجاهات الثلاثة التي مثلت الظاهرة التـاريـخـيـة للمعارضة أبـان المرحلة الملكية وهي :[الوطني- الحزب الوطني الديمقراطي؛ القومي- حزب الاستقلال واليسار – الحزب الشيوعي].

هذه القراءات و ذلك الاحتكاك بالقوى السياسية وملموسية واقـع الصراع الاجتماعي/ السياسي وبروز المؤسسة العسكرية كقوة أرأسـيـة في الساحة السياسية، والتي كانت متأثرة بمثيلاتها في تركيا خاصة، وإيران، عوامل صاغت منه مَعلَماً عسكرياً يتفوق على زملائه في مهنته وفي تصوراته السياسية العامة وأبعادها المستقبلية، إذ يمكن اعتباره في هـذه المرحلة عسكري ذو أهـداف سياسية ، نظراً لغلبة الأولى كمهنة ومن حيث الاهتمام والقراءة والممارسة الحـيـاتـيـة، لكن المعادلة ستتغير بعد عقدين من الزمن ليصبح سياسي بلباس عسكري، خاصة بعد تحقق ثورة تموز وقيادته للبلد في ظروف انتقالية صعبة لبلد أصعب.

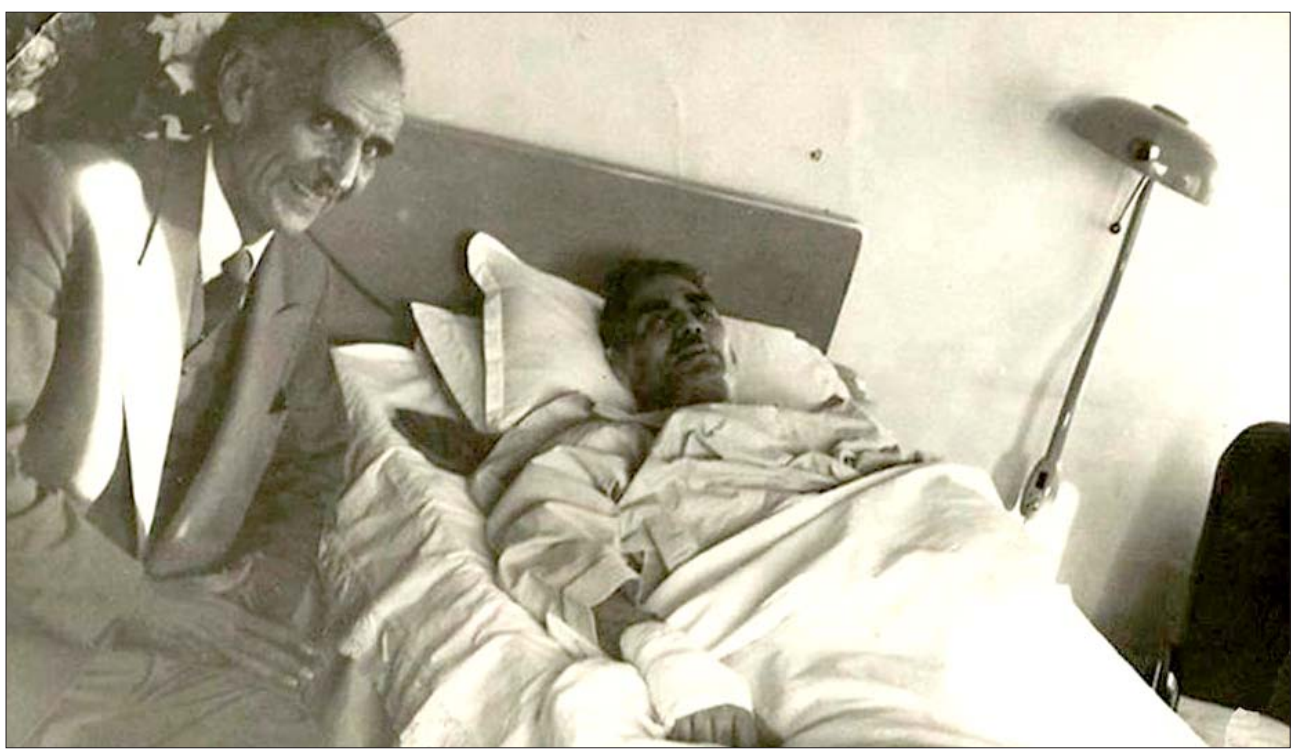

الجواهري يعود قاسم في مستشفى دار السلام

على ميلاد الزعيم

100

سفرطاس الزعيم

رشيد الخيون

لست من الذّين ادعوا رؤية الزّعيم عبد الكريم قاسم (قُتل ١٩٦٣) في قرص القمر، لكني من الجيل الذي ارتشف الشّاي من صحن رسمت فيه صورته، ولا يداخلني الشّك بأنه لم يأمر بهذا ولا يحبذه، وما زلت مقتنعاً أن هناك ما يمكن أن يفعله ويجعل للثّورة معنى، لا مجرد إسقاط نظام ومجيء آخر محله، وإلغاء كل الأطر الدُّستورية على أمل إعادة الحياة البرلمانية بشكل أفضل، وهذا لم يتم.

ما أريد قوله إن للزّعيم ذنوبه ونواقصه، لكن ميزته النّزاهة المطلقة في ما كان تحت يده من ثروة الشّعب، ويصح لنا اعتباره من دراري النُّجوم قياساً بفساد هذه الأيام الصّارخ.

لستُ بصدد مراجعة الحوادث، بقدر الألم عمّا أسفرت، وما أوصلت العراق إليه، بعد حروب وحصار وكوارث فساد نادرة في التّاريخ، فالمعلن، حسب جلسات البرلمان العراقي، أن أربعين مليار دولار (أربعين ألف ألف مليون) قد ضاعت، ولا أحد يعرف خبرها، والبرلمان نفسه صمت عنها.

شاعت قصة سفرطاس الزّعيم حتى خلتها ضرباً من المبالغة، شأن رؤيته في قرص القمر، أو وجوده حياً بعد قتله، مثلما حصل مع الحسين الحلاج (قُتل ٣٠٩ هـ)، وإنه سيعود، وقد سمعت من أحد زوار الإمام الرّضا بأنه سمع بوجود عبد الكريم قاسم هناك، وقصص اخرى لا تعد ولا تُحصى، وكلُّ هذا من أسباب الحب، فليس لدى الفقراء سوى الآمال، فحسب العقيد محسن الرُّفيعي (ت ٢٠٠٤) أن الزّعيم اصطحبه في جولته الليلية إلى خلف السّدة وكانت ليلة ماطرة فقال له:

«انظر يميناً ويساراً، هل يمكن لبشر أن يعيش وسط هذه الأجواء، والله لأسكنهم في دور عامرة مجهزة بالماء والكهرباء وتتصل ببغداد بطرق معبدة» (الرُّفيعي، أنا والزّعيم).

وبالفعل شرع بذلك، وأسكن أهل الصّرائف بدور تليق بالإنسان.

قال المعمار محمد مكية، أطال الله بعمره ناهز الآن الخامسة والتّسعين، أن دُعي إلى مقابلة الزّعيم بمقر وزارة الدّفاع، فطلب منه تناول الغداء معه، وإذا به يفتح السّفرطاس، المحمول من بيت شقيقته أو شقيقه، ولا يزيد على ما حمله السّفرطاس من طعام (وردت في يوميات السّنين). بعدها قرأت في مذكرات الطّبيب العالم فرحان باقر:

«في إحدى الزّيارات لمقر الزّعيم في وزارة الدّفاع دعا مَن كان حاضراً لتناول الغذاء، والذي يُجلب من بيت أخيه بالسّفرطاس... وكان الطّعام فيها متواضعاً وبسيطاً جداً» (حكيم الحُكام من قاسم إلى صدام).

حتى وجباته مع ضيوفه (من داخل العراق) كانت بسيطة

المصادر المؤكدة لنزاهة عبد الكريم قاسم مصدقة من خصومه قبل محبيه، وقصة السّفرطاس في المقدمة.

ونكاد نصاب بالغيبوبة لشدة المفارقة بين سفرطاس الزّعيم وثراء الوكيل أو المدير العام والعمولات (الكومشن) من صفقات النّفط والمقاولات اليوم، إلى رفاهية الإيفاد وما يؤسس خارج العراق لعقارات قصور ومنازل، أين نهب البلد من السّفرطاس، إنه درس في النّزاهة ولا نزيد!

أما المفردة فتركية النّجار (سفرتاسي)، وهي أوانٍ من الألمنيوم أو النُّحاس تُركب الواحدة داخل الأخرى بمشبك ذي مقبض، ويستخدم السّفرطاس لأصحاب المهن والعُمال، ومنها ما يؤجر من محال خاصة (البازركان، الألفاظ الدّخيلة في اللهجة العراقية الدّارجة).

ربما غابت آلة السّفرطاس عن الوجود وحلت محلها آلات حافظات للشّراب والطّعام، وألحقت المكاتب بالمطابخ الرّاقية، يديرها أفواج من الطُّهاة والطّاهيات، لكن السّفرطاس ظل محفوراً في ذاكرة وطن تبتلع خيراته الحيتان والقروش، وشعب مبتلى إلى حد الهزال والفاقة.

ختاماً، اقترح على هيئة النّزاهة أن تتخذ من سفرطاس الزّعيم شعاراً تنقشه على بوابتها، لقد قل مثيله في ماضي الحُكام وحاضرهم.

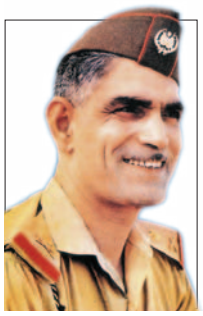

شاعت قصة سفرطاس الزّعيم حتى خلتها ضرباً من المبالغة، شأن رؤيته في قرص القمر، أو وجوده حياً بعد قتله، مثلما حصل مع الحسين الحلاج (قُتل ٣٠٩ هـ)، وإنه سيعود، وقد سمعت من أحد زوار الإمام الرّضا بأنه سمع بوجود عبد الكريم قاسم هناك، وقصص اخرى لا تعد ولا تُحصى، وكلُّ هذا من أسباب الحب، فليس لدى الفقراء سوى الآمال

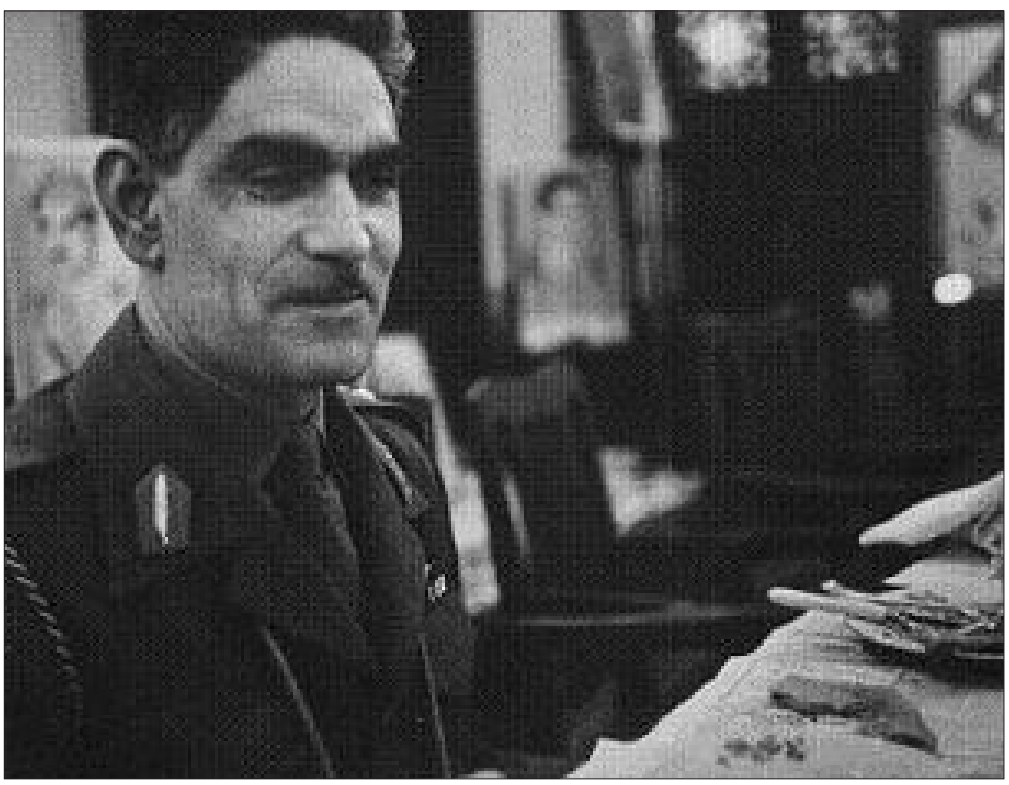

اشراقات قاسمية مضيئة

عبد الكريم الصراف

تميزت الفترة القصيرة لحكومة الجمهورية الاولى التي قادها الزعيم الوطني الخالد عبد الكريم قاسم بكثير من الاشراقات الانسانية والجوانب المضيئة التي لا يمكن الاحاطة بها بهذه العجالة وإنما يمكننا اقتباس بعض منها على سبيل الامثلة لا الحصر كما في أدناه:

× لا يختلف اثنان من العراقيين الشرفاء على ان حكومة الجمهورية الاولى تميزت بالنزاهة والعفة وكما قال الرسول الاعظم محمد (ص) ((اذا صلح الرأس صلح الجسد)) فمثلما عرف الزعيم الشهيد بنزاهته وعفته كذلك كان اخوانه من اقطاب الجمهورية واركان الحكومة القاسمية فلم يمكن في حينه اتهام احد من الحلقة المحيطة بالزعيم باستغلال منصبه والاثراء غير المشروع او انتهاك القوانين او الاساءة الى احد من المواطنين ولا زال جميع الذين عايشوا تلك الفترة يشهدون بنزاهة طه الشيخ احمد ووصفي طاهر وعبد الكريم الجده والعبدي والمهداوي وماجد امين وحافظ علوان وقاسم الجنابي والاوقاتي ونوري ناصر وكنعان حداد وعبد المجيد جليل وبقية القياديين في الدولة.

× لم تمنح رتب عسكرية اعتباطية ودون وجه حق لأي فرد مهما كانت صلته او موقعه ولم يمنح احد قدما بسبب قرابته لزيد او صداقته لعمر فهذا قائد الثورة نفسه الذي كان قد ترفع لرتبة زعيم ركن في ٦/ ١/ ١٩٥٥ (قبل الثورة) ينتظر مرور المدة القانونية اللازمة للترفيع ومدتها اربع سنوات لكي يترفع الى رتبة لواء ركن وينتظر اربع سنوات اخرى ليترفع في ٦/ ١/ ١٩٦٣ الى رتبة فريق ركن ويرفض تقاضي رواتب المناصب التي يحتلها مكتفيا براتب رتبته العسكرية الادنى اما شقيق الزعيم وهو المرحوم عبد اللطيف فقد كان عند قيام ثورة ١٤ تموز يعمل بصفة نائب ضابط في الصنائع الجوية وبقي بنفس رتبته طيلة مدة حكم شقيقه مثلما بقي يسكن داره الصغيرة في تل محمد.

× تجسيدا للآية الكريمة (ولا تزر وازرة وزر أخرى) لم يحصل ان عوقب اي مواطن بسبب جريرة شقيقه او قريبه مثلما حدث في العهد البائد عندما كان يعاقب المرء على تهمة أخيه او قريبه من الدرجة الرابعة او السابعة والثامنة... فعندما حدثت مؤامرة آذار ١٩٥٩ في الموصل والتي قادها عبد الوهاب الشواف الذي قتله جنوده بعد ان اصيب بجراح خلال القصف الجوي لمقره... فإن تلك المؤامرة لم تمنع الزعيم الشهيد عبد الكريم قاسم من التمسك بشقيق عبد الوهاب الشواف وهو الدكتور محمد الشواف والذي بقي في منصبه وزيرا للصحة وابن عمهما المرحوم عبد اللطيف الشواف وزيرا للتجارة.

× لم يحدث ان تم اغتيال اي شخص من المعارضين للحكومة القاسمية رغم وجود تلك الامكانية لأن الحكومة الوطنية كانت تلتزم بقيم اخلاقية ومبادئ انسانية وترفض جميع اشكال الاغتيال السياسي.

× لم تنتهك الحكومة القاسمية القانون ولم تتصرف بطريقة الثأر والحقد ضد مناوئيها فرغم تآمر المرحوم عبد السلام عارف على الزعيم فإنه حصل على دار سكن من الدولة لاستكماله للضوابط القانونية المطلوبة كما ان عدنان الراوي كان يهاجم الحكومة القاسمية من اذاعة صوت العرب حيث كان يقيم في مصر بينما كانت عائلته تتسلم راتبه التقاعدي وجميع حقوقه كاملة غير منقوصة في بغداد ودون ان يتعرضوا لأية مساءلة.

× لم يحدث ان عين اي مسؤول في الدولة بمنصب رفيع كأن يكون وزيرا أو وكيل وزارة او مدير عام بدون مؤهلات جامعية سواء كانت شهادة جامعية مدنية او شهادة التخرج من الكلية العسكرية والاركان وبعيدا عن المحسوبية والمنسوبية.

× لم يعدم ولم يحكم اي متهم بعقوبة مقيدة للحرية دون محاكم قانونية وحتى اولئك الذين عوقبوا بالاعدام او السجن فإنهم خضعوا لمحاكم قانونية دامت عدة اسابيع كان لهم فيها الحق بتوكيل محام مثلما كانت معظم تلك المحاكمات علنية تبث من خلال الاذاعة والتلفزيون ووسائل الاعلام الاخرى وكان من حق المتهم الدفاع عن نفسه والرد على رئيس المحكمة وقد برأت المحاكم العديد منهم لعدم ثبوت الادلة رغم اعترافهم فيما بعد (بعد مؤامرة ٨ شباط) بقيامهم بتلك الافعال الجرمية.

× أما العفو عند المقدرة فكان من اهم مميزات الحكومة القاسمية فقد رفع الزعيم الشهيد عبد الكريم قاسم شعار (عفا الله عما سلف) وشعار (الرحمة فوق العدل) ولا زال البعض من العراقيين وحتى يومنا هذا ومن دافع حبهم له يلومونه على سعة قلبه وافراطه في العفو عن معارضيه متناسين ان العفو من شيم الكرام وان الله عز وجل قد دعا للعفو حيث قال (والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين) وان جميع اهل المبادئ والقيم وعلى مر تاريخنا العربي الاسلامي كانوا يتبعون سياسة العفو عند المقدرة مع مالها من نتائج سلبية على ادارتهم لشؤون رعيتهم.

وبعد فإن ما تقدم لا يشكل الا غيضاً من فيض الاشراقات والجوانب المضيئة للحكومة القاسمية التي اعتمدت القيم الانسانية والاخلاقية والتي احتوت العراقيين على اختلاف اطيافهم وقومياتهم بالحب والمودة والعدالة الاجتماعية".

محمد حديد:

عهد عبد الكريم قاسم افضل العهود التي عاشها العراق

من هنا كان بعض الباحثين المساهمين في تقييم عهد عبد الكريم قاسم على حق لدى تبيان ان بعض النواقص التي ظهرت لا بدٍ ان تعزى الى بعض محاولات معالجة الصرات الداخلية، فضلا عن مواجهة المؤامرات، والدعاية الاعلامية والفكرية المضادة مما اشاع مناخاً عرقل، بحدود معينة، المساعي البناءة للتطوير الداخلي. وقد ساهم ذلك المناخ، مع عوامل اخرى، في احباط جهود البعض في الضغط على عبد الكريم قاسم لإقامة حكومة دستورية. غير انه سيبقى التساؤل بلا جواب عما اذا كان قاسم يختلف ام لا عن اكثرية الضباط العسكريين الذين يمتسكون بالسلطة السياسية الفعلية بعد ان يتسلموها، ولا يبدون استعداداً للتنازل عنها.

ادت الاختلافات العقيدية بين الاحزاب الى تفجير الاوضاع بطريقة هددت استقرار البلاد، ولم يكن عبد الكريم قاسم حاسما كفاية لايقاف تلك الصراعات او ايجاد مخرج للازمة السياسية. فما قام به تجاه الاحزاب من خلال "اجازة" عدد منه لم يكن امراً مجدياً، ذلك ان الاحزاب التي تستبعد عن الحكم ولا تلتقي في مناقشات اجهزته المنتجة، لايمكن ان تكون فعالة.

ومع ذلك كانت هناك سمة هامة من سمات نظام عبد الكريم قاسم جرى اغفالها احيانا. فبالرغم من ان النظام لم يكن ديموقراطياً (اذ كانت القوانين والانظمة تشرع بمراسيم تصدر من مجلس الوزراء فقط)، فقد كانت هناك حرية في النقاش والتعبير في تلك الفترة اكثر مما كانت عليه في الفترات اللاحقة. فالانتقادات الموجهة الى النظام كانت مقبولة. ولم يكن عبد الكريم قاسم يلجأ الى اجراءات قمعية إلا عندما يشكك في من يتآمرون ضده مباشرة. وفي عهده فسح مجال معين للتعبير عن وجهات النظر المتباينة في الصحف التي كانت تتسم، في تلك الفترة، بتوجهات سياسية متباينة، ولم تكن القيود التي فرضت على بعض الصحف، في اوقات معينة، قيوداً واسعة. وفي اطار هذه الحرية النسبية نشرت وقائع محكمة الشعب التي تضمنت افادات بعض المتهمين واقوال بعض الشهود، ممن تحدث العديد منهم بحرية.

ومن ناحية اخرى، لايمكن تقييم عهد عبد الكريم قاسم من دون ان نأخذ بالحسبان الظروف الخارجية التي واجهها، والتي شكلت على الدوام تهديداً للاستقرار الداخلي ومصدراً للانقسامات الداخلية. على ان هذه الانقسامات متأصلة في التركيبة السكانية، نتيجة التباينات العرقية في الشمال، والانقسامات الطائفية في الوسط والجنوب، والتي تجسد الفروق الاجتماعية والطبقية، وكذلك الدينية، وكلها نابعة من جذور تاريخية جعلت من بناء دولة حديثة مهمة صعبة معقدة جداً. وكانت الضغوط الخارجية تستغل نقاط الضعف هذه في المجتمع العراقي.

لقد قامت كل القوى المعادية للتطور في فترة عبد الكريم قاسم، بمحاولات لعرقلة ذلك التطور، وكان من الطبيعي ان تواجه اية حكومة، مهما كانت طبيعتها، صعوبات كبيرة في تلك الفترة. غير انه بالرغم من بعض نواقص نظامه ظل الرأي العام العراقي يعتبره اكثر قبولاً من الانظمة اللاحقة له.

واعتقد جازماً ان التغيير الوزاري الذي كان عبد الكريم قاسم ينوي القيام به في أواخر عام ١٩٦٢، لو اقترن بتغيير في النظام السياسي (بدءاً بسن دستور دائم واجراء انتخابات نيابية حرة) تلقى قبولا اكثر وتعاونا اكبر، ومن ثم لتفادي الانقلاب الذي اطاحه.

مع ذلك، لا بد من الاجابة عن التساؤلات المتعلقة اولا بقيام ثورة ١٤ تموز، وثانيا بالتطورات التي حدثت منذ قيام الثورة. فبعد ان مرّت الاحداث التي تلت عهد عبد الكريم قاسم، كانت هناك تساؤلات كثيرة عمّا اذا كان قيام ثورة ١٤ تموز في مصلحة العراق. وكثيراً ما وجّه إليّ سؤال عمّا اذا كنا على صواب في العمل على انجاز الثورة.

ويتلخص جوابي في ان ثورة ١٤ تموز كانت حتمية برغم مما وقع، ذلك ان حلف بغداد اصبح، في عهد نوري السعيد الأخير، هو الموجّه للسياسة العراقية العامة، وبسببه الغيت اجازات جميع الاحزاب، وعطلت صحفها، والصحف الاخرى غير الحزبية التي كانت تنتقد الحكومة. وحددت حرية الاجتماع والتظاهر، واخذت هذه المظاهر تقمع بشدة. وبات النظام البرلماني شكلياً حينما الغي المجلس الذي كان قد انتخب سنة ١٩٥٤، ونجح فيه عدد قليل من النواب الحزبيين الذين دخلوا معركة الانتخابات باسم الجبهة الوطنية، وعدد مماثل من المعروفين بمعارضتهم للحكومة.

فغضب نوري السعيد من نتائج تلك الانتخابات وذهب للاقامة في باريس

لقد قامت كل القوى المعادية للتطور في فترة عبد الكريم قاسم، بمحاولات لعرقلة ذلك التطور، وكان من الطبيعي ان تواجه اية حكومة، مهما كانت طبيعتها، صعوبات كبيرة في تلك الفترة. غير انه بالرغم من بعض نواقص نظامه ظل الرأي العام العراقي يعتبره اكثر قبولاً من الانظمة اللاحقة له.

مقاطعاً المؤسسة الحاكمة، فذهب الوصي عبد الإله لمصالحته والتفاهم معه، فاشترط لعودته حل ذلك المجلس، مع انه قد عقد اجتماعه ذلك قبل شهر واحد. واجريت انتخابات حديدة قاطعتها الاحزاب وغيرها من المستقلين بسبب التدخلات المتوقعة فيها، فلم يفز إلا مرشحو الحكومة بالتزكية، وبالاسلوب الذي سارت عليه الحكومة منذ قيام الدولة العراقية. وابطل التقليد الذي كان يسمح بنجاح عدد ضئيل من النواب المعارضين فاصبح المجلس النيابي شكليا لا مهمة له سوى المصادقة، بلا مناقشة او اعتراض او تطرق للسياسة العامة، على قرارات الحكومة. يضاف الى ذلك استمرار تردي الاوضاع المعيشية، وتذمر الشعب من الاوضاع القائمة السياسية والاقتصادية القائمة. وفي ظل هذه الازمة فقدت اية وسيلة للتغيير، لاسميا بعد اتساع سيطرة النفوذ الاجنبي باتجاه تأمين مصالحه على حساب مصلحة الشعب، في وقت قامت فيه جبهة الاتحاد الوطني بعد العدوان الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦، وجاءت الجبهة نتيجة لتردي الاوضاع عامة، ولموقف الحكومة العراقية المهادن لذلك العدوان بصورة خاصة، وقمع التظاهرات التي اندلعت لاستنكاره.

وكانت هناك اتصالات، كما ذكر سابقاً، بين الجبهة وتنظيم الضباط الاحرار

الذي شكل قبل قيام جبهة الاتحاد الوطني نتيجة التذمر في صفوف الضباط وضباط الصف والجنود. وقد وصل الوضع الى حد النضج للقيام بعمل حاسم عندما تسنح الفرصة. ووجد قادة الضباط الاحرار، في ارسال لواء من الجيش الى الاردن لدعمه في الصراع الذي كان قائما بين الحركة القومية ومعارضيها في لبنان خصوصاً، وكذلك في الاردن، فرصة سانحة لتنفيذ خطتهم في اطاحة النظام القائم في ذلك الوقت، ولأن الجيش العراقي كان مستاء من استخدامه في مهمات عسكرية لمصلحة القوى الاستعمارية التي كانت تعدد حرية البلاد العربية.

ومعروف ان ثورة ١٤ تموز (يوليو) لو لم تقم، ونظراً للتذمر السائد في المجتمع، لكانت السلطة تولت القيام بانقلاب وقائي صوري ضد نوري السعيد والمؤسسة القائمة مع الاحتفاظ بالنظام الملكي. ولو وقع ذلك الانقلاب، وحال دون التغيير الاساسي المطلوب من ثورة حقيقية، لاستمرت السيطرة الاجنبية مع ما يرافقها من اغتصاب لحقوق البلاد وبقاء الاوضاع الدخلية على حالها تقريباً.

واذا كانت تطورات الامور، في العهد الجمهوري، لم تجر بحسب توقعات الاوساط المدنية والعسكرية، فان ذلك يعزى الى عوامل وتعقيدات داخلية وعربية واجنبية، اشرنا، في فصول سابقة، الى بعض جوانبها، ولا نجد مجالا للاسهاب في بحث تفاصيلها، خصوصاً ان مصادر مختلفة اشارت الى تلك العوامل والتعقيدات.

وفي التاريخ تعرضت الثورات التحريرية، من الثورة الفرنسية وما بعدها، الى مثل هذه النكسات التي عرقلت سيرها، ولكنها عادت، في النهاية، وحققت ما كانت تصبو اليه الشعوب من الحرية والرفاه.

والجدير ذكره ان ما كتب، الى الآن، عن تلك التطورات لم يكن كلّه حياديا ومتسما بالموضوعية، اما لدوافع ذاتية، واما بتوجيه من السلطة لتحريف التاريخ لمصلحتها، ولكن لابد من ان يقوم مؤرخون جادون، عبر بحث اكاديمي علمي، بتدوين تاريخ هذه الفترة المهمة.

ومما لاجدال فيه ان ثورة ١٤ تموز (يوليو) حققت، برغم الصعوبات والتعقيدات التي جابهتها، الكثير من المنجزات في الميادين الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية، وهو ما يحدثنا عن تفاصيله سابقاً، ولكننا نعيد، في سياق هذا الحديث، ذكر ما هو رئيسي منها:

- التحرر من حلف بغداد الذي كان مسيطراً على سياسة البلاد العامة.
- الخروج من المنطقة الاسترلينية واستقلال العملة العراقية، واستقلال السيطرة على الشؤون النقدية في العراق من قبل وزارة المال والبنك المركزي.
- تشريع القانون رقم ٨٠ الذي استعاد وحرر ٩٩٪ في المئة من الاراضي التي كانت مشمولة بامتيازات شركات النفط الاجنبية الاحتكارية المجحفة والغاصبة لحقوق العراق.
- تشريع قانون الجمعيات لتنظيم الاحزاب والجمعيات السياسية، واطلاق الحرية النسبية للصحافة.
- سن قانون الاصلاح الزراعي وتحديد الملكية الزراعية وتوزيع الاراضي على الفلاحين، فضلا عن إقامة الجمعيات الفلاحية.
- الغاء قانون العشائر وتعميم القانون المدني والجزئي على جميع القضايا.
- توسيع المؤسسات والخدمات الصحية كالمستشفيات والمستوصفات.
- الاعتراف بحقوق المرأة بحيث جرى للمرة الاولى تعيين وزيرة بشخص الدكتورة نزيهة الدليمي، واطلاق حرية التنظيم النسائي، واعطاء المرأة حقوقا اكبر في الشؤون الزوجية. وقد لاقى القانون معارضة من القوى الرجعية، ولا سيما من علماء الدين، بسبب المساواة بين المرأة والرجل في الارص، وقد ادعوا انها مخالفة لنصوص القرآن، ولهذه الاسباب لم يدم ذلك القانون طويلا بل عدلت فقراته الاصلاحية حينما تولت الحكم عناصر رجعية بعد اطاحة حكم قاسم.
- تشجيع العمل على ممارسة حقوقهم النقابية والمهنية، فضلا عن تشجيع الطلبة والشباب على اقامة اتحاداتهم ومنظماتهم.
- تشجيع المهنيين كالاطباء والمهندسين والمعلمين والمحامين.. الخ على اقامة منظماتهم وممارسة حقوقهم، وتخصيص قطع اراض مجانية لتشييد مقار لمنظماتهم.
- تحسين احوال الموظفين المدنيين والعسكريين، لا سيما ضباط الصف والجنود، بزيادة رواتبهم، وتحسين القوانين الخاصة بخدمتهم
- القيام بتشييد مجمّعات سكنية للعمال بدل مجمعات الصرائف وتحويل المجمعات السكنية الجديدة الى مدن مثل الثورة والشعلة. بدعم من المصارف المختصة.
- تخصيص اراض للمهنيين لبناء مساكن لهم من خلال الجمعيات، وقد ظهرت احياء المهندسين والمعلمين والاطباء والمحامين في بغداد وغيرها من محافظات البلاد. كذلك قامت الجمعيات التعاونية لموظفي الدولة الآخرين في مجال القضاء والبلديات.. الخ ببناء مساكن للمنتسبين اليها.
- تأسيس وزارة للتخطيط ومجلس للتخطيط الذي اصبح، وان حل محل مجلس الاعمار، مؤسسة حكومية تتولى القيام بالمشاريع العمرانية بصورة مستقلة وسليمة، خلافا لما كان عليه مجلس الاعمار الذي كان تحت النفوذ الاجنبي.
- اختفاء الطائفية والتعصب الديني والقومي، وافساح المجال لكل المواطنين على اختلاف الطوائف والمذاهب والاديان والقوميات، بالدخول الى المدارس والكليات والوظائف، والحصول على مختلف فرص التعليم والعمل.
- تشجيع الصناعة الوطنية وحمايتها، وزيادة الاستثمارات العمرانية، والنشاط التجاري، ومنح اجازات الاستيراد لأكبر عدد من التجار، فضلا عن المقاولات، من دون تمييز في الفرص.

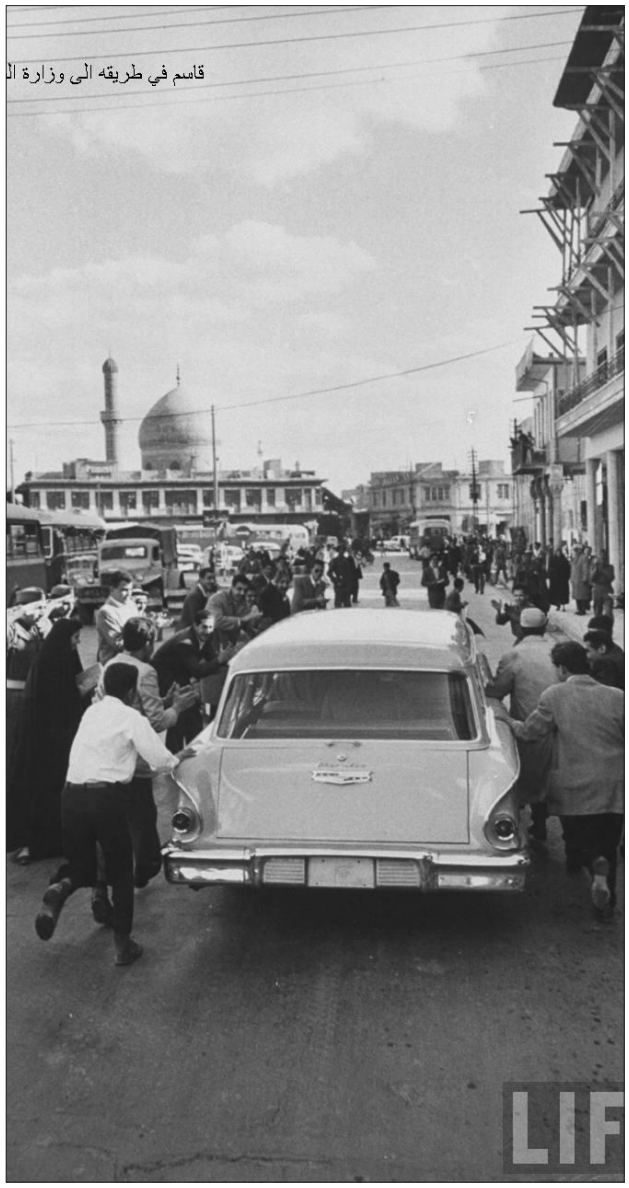
قاسم في طريقه الى وزارة الـ

قاسم في منزله مع وصفي طاهر

- واهم من ذلك كلّه، في اعتقادي، قيام الثورة بتحطيم الحواجز التي كانت قائمة في زمن المؤسسة السياسية السابقة امام جميع طبقات الشعب بدون تمييز، وتحقيق التمتع بالفرص المتكافئة في جميع مراحل التعليم والتوظيف والوصول الى المراتب العليا سواء في الدولة او في الاعمال الحرة.

واود، في معرض تقييمي لعهد عبد الكريم قاسم، الاشارة مجدداً الى انني لم التقه وجها لوجه إلا بعد يوم من قيام ثورة ١٤ تموز (يوليو)، برغم اتصالاتنا العديدة بالواسطة بشأن الاعداد للثورة.

وبعد لقائي معه يوم ١٥ تموز (يوليو) ١٩٥٨ في جلسة مجلس الوزراء، وفي جلسات اخرى بعد ذلك، وحينما كانت التساؤلات تتكاثر حول من يقود الثورة من القائدين العسكريين اللذين دخلا بغداد يوم ١٤ تموز، أهو عبد الكريم قاسم ام عبد السلام عارف، تكوّنت لديّ القناعة التامة بأن عبد الكريم قاسم هو الأصلح لقيادة الثورة، نظراً لما وجدت لديه من ميول نحو الديمقراطية، والحياد في التعامل وتجنب الضغائن في العلاقات مع الاشخاص، والاعتدال والاتزان في الآراء والمناقشات، والابتعاد عن التهور في الاحاديث والمواقف التي كانت تطرح حول شتى المواضيع المهمة في ذلك الحين.

وقد ذكرت سابقاً انني عبرت عن قناعتي هذه لبعض الزملاء والاصدقاء ممن سبق ان عملوا معنا في الحقل السياسي في الجناح الديمقراطي من جبهة الاتحاد الوطني التي كان لها دور مهم في قيام الثورة.

ومع ان اشتراكي في العمل مع عبد الكريم قاسم في الحكومة التي انبثقت عن الثورة، كان محدودا ولم يتجاوز السنتين، ومع ان اتصالي به، بعد انسحابي من الحكومة، كان ان يكون محدودا ايضا، وذلك بالاشتراك في المفاوضات التي جرت مع شركات النفط لتعديل امتيازاتها، واستعادة حقوق العراق المغتصبة منها، وباتصالات سخصية احياناً، وبالرغم من معارضتي للاسلوب الذي اتبعه في ادارة الدولة، فاني وجدته، انسانياً، متواضعاً، طيب القلب، بعيدا عن اللؤم، وطنيا يعمل لضمان مصالح بلده ورفاه شعبه. غير انه اتبع الفردية في الحكم في الفترة الاخيرة من عهده، ورافق ذلك اتباع الاسلوب الميكافيللي في امور امن الدولة، وهو الأسلوب الذي يقوم على استخدام الاضداد، وبذلك كانت ادارته للدولة اشبه بادارة اللواء العسكري الذي كان يقوده قبل الثورة، وهذا ما أدى في النهاية الى اطاحته، وايقاف ما كان يتوقع من احتمالات جيدة لتطور النظام الى وضع ديمقراطي متزن ومتعدل. ومهما يكن من امر، فان عهده كان افضل من اي عهد لاحق شهدته في العراق في حياتي.

عن مذكرات الراحل محمد حديد فصل خاص بتقييم شخصية عبد الكريم قاسم

عبد الكريم قاسم العراقي الاصيل

عبد اللطيف الشواف
سياسي ووزير سابق

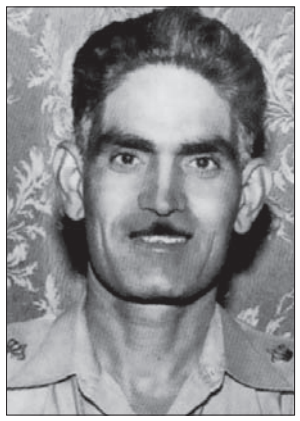

لقد رأيته في مقره بوزارة الدفاع في آخر ليلتين قبل ٨ شباط ١٩٦٣، حيث كنت في ليلة ١٩٦٣/٢/٦ مدعواً مع الاستاذ محمد حديد في موعد مع الزعيم عبد الكريم قاسم مساء ذلك اليوم (الساعة السادسة فيما اظنها)..

لما ان تاخر عبد الكريم في الحضور الى وزارة الدفاع على الموعد بسبب زيارة تفقدية له في مدينة الثورة على عادته – تذمر الاستاذ محمد حديد واراد الاعتذار والغاء الزيارة مندداً بعدم اهتمام عبد الكريم بمواعيده حتى بعد تحرره من الوزارة، وازمع على ترك وزارة الدفاع، ولكني رجوته الانتظار فترة اخرى لنرى ما لدى سيادة الزعيم ليرتب هذا الموعد المشترك، ولما ان وصل المرحوم عبد الكريم الى وزارة الدفاع استصحبنا من جناح مكتبه الى جناح آخر يقع في الجهة الجنوبية مع غرف وزارة الدفاع كان المرحوم قاسم قد اعده مركزاً لضباط الاستعلامات الرئيس (سعيد الجنابي) وقد رأينا هناك ملفات تتعلق بالقضايا السياسية وببعض السياسيين الذين التقوا مع عبد الكريم وغيرهم في مسعى لتنظيم امور الادارة السياسية استجابة لالحاح وضغط كثير من اعوان الحكومة ومن الاصدقاء الشخصيين داخل العراق وخارجه على المرحوم عبد الكريم بان يرتب مكتبه واموره الروتينية وان يقلع عن المستوى القديم مستوى آمر فوج الى مستوى رئيس دولة مسؤول عن شؤونها كافة.

لقد اخبرنا المرحوم قاسم آنئذ انه سيناقش في ذلك المساء الاربعاء – على ما اذكر في مجلس الوزراء قضية ارتباط شركة النفط الوطنية بوزارة النفط او برئيس الوزراء – وهي قضية كثر الخلاف حولها انذاك، وقد عرضنا رأينا وملخصه ان ينص قانون شركة النفط الوطنية على ارتباطها برئيس الوزراء لابوزير النفط، لأن معركة النفط، والشركة من بين قطاعاتها الاساسية – وقد كانت مهمتها انشاء قطاع نفط وطني مستقل عن قطاع الشركات النفطية المالكة (شركة نفط العراق واخواتها) هي مسألة سياسية اساسية تنفذ مقابلة ومعارضة للشركات التي تتمتع بشكل كلي باسناد حكوماتها – بريطانيا والولايات المتحدة وفرنسا وهولنده وحضة كولينكيان المقيم في البرتغال، ولذلك يجدر ان تكون اعمال هذه الشركة تحت اشراف الجهة السياسية العليا في العراق.

ولما أن طال النقاش في الموضوع اقترحت انذاك ان يستهدى في الحكم على قانون شركة النفط الوطنية العراقي – وكنت انا الذي وضعت مسودة القانون وقامت وسائل الاعلام بنشره مع حواشي على نصوصه وفق اسلوب الشرح على المتون – بقانون بنك الرافدين الذي اسس بصورة مستقلة – لكن وزارة المالية انما جعلت مشرفة عليه لتنفيذ السياسة المصرفية العامة للدولة، وقد طلب المرحوم عبد الكريم إلى ان اجلب له في اليوم الثاني نسخة من قانون بنك الرافدين، ولما ان زرته في مساء اليوم التالي ١٩٦٢/٢/٧ حوالي الثامنة مساءً في الجناح الجديد الذي صممه المرحوم المهندس قحطان عبد الله عوني مقابل سلم الباب الرئيسي لوزارة الدفاع في المركز الوسط بين جناحي وزارة الدفاع ملحقا بالجانب المشرف على دجلة، وقد جاء الى هناك بناء على موعد سابق المرحوم الاستاذ مصطفى علي وزير العدل السابق – وكان قد استقال من وزارة العدل – وكان من بين موقعي عريضة (السلم في كردستان) التي نظمها الاكراد والشيوعيون كجزء من الحملة ضد الحرب التي بدأت ضد الاكراد، وقد قام المرحوم عبد

الكريم باطلاعنا على ملف لحلف بغداد والقواعد العسكرية التي كان الحلف ينوي بناءها شمال العراق ضد الاتحاد السوفيتي.

لقد كان المرحوم قاسم طلب من المرحوم مصطفى علي على ضرورة الالتفاف حوله لانهاء التمرد الكردي وكان يؤشر على خارطة تشير الى مناطق الحركات العسكرية وهنا مازلت اذكر – ان عينيه بدأت تدمع وانه يبكي لفرط تأثره وحزنه وعمق حماسه في الحديث عن القضية الكردية وكان منظره دليلا على ما انتابه من الاسى والاسف للحكومة وله شخصيا – قد فشلوا في الاستجابة لاحدى النقاط الجوهرية من شعارات الحركة الوطنية العراقية – حول القضية الكردية – هي المسألة التي حاول عبد الكريم بذرائع شتى تنطوي على محاكاة لقضية او على تبريرات تاريخية او شخصية لتفسير موقفه منها والتي لم يؤيده فيها اكثر وزراته وكان يشجعه عليه العسكريون من حوله، وبعد ان اكد سيطرته وسيطرة الجيش العراقي على مناطق كردستان الاساسية ذاكرا اسماء الاقضية والمواقع الكردية المتعددة دربندي خان، وقلعة دزه، وسيد صادق وغيرها، طلب الى المرحوم مصطفى علي ضرورة الالتفاف حوله لانهاء التمرد الكردي، وكان يؤشر على خارطة تشير الى مناطق الحركات العسكرية وهنا – لا زلت اذكر – ان عينيه بدأت تدمع وانه بكى لفرط تأثره وحزنه وعميق حماسه في الحديث عن القضية الكردية، وكان

لقد كان المرحوم قاسم طلب من المرحوم مصطفى علي على ضرورة الالتفاف حوله لانهاء التمرد الكردي وكان يؤشر على خارطة تشير الى مناطق الحركات العسكرية وهنا مازلت اذكر – ان عينيه بدأت تدمع وانه يبكي لفرط تأثره وحزنه وعمق حماسه في الحديث عن القضية الكردية وكان منظره دليلا على ما انتابه من الاسى والاسف للحكومة وله شخصيا – قد فشلوا في الاستجابة لاحدى النقاط الجوهرية من شعارات الحركة الوطنية العراقية – حول القضية الكردية –

ر

بكاؤه دليلا على ما انتابه من الأسى والاسف لان حكومته وهو شخصيا – قد فشلا في الاستجابة لاحدى النقاط الجوهرية من شعارات الحركة الوطنية العراقية – حول القضية الكردية – وهي المسألة التي حاول عبد الكريم بذرائع شتى تنطوي على مماحكات لفظية او على تبريرات تاريخية او شخصية لتفسير موقفه منها والتي لم يؤيده فيها اكثر وزراته وكان يشجعه عليه العسكريون من الموجودين حوله.

ومن ثم أمر بايصال المرحوم مصطفى علي الى بيته في بغداد الجديدة بعد ان طمنه واوصاه بضرورة معاودة الاتصال به للبحث في الشؤون العامة والخاصة ضاربا له المثل بموقفي منه وكيف اتصل به لبحث مختلف المشاكل بالرغم من استقالتي وتركي الوزارة والبنك المركزي واي عمل رسمي في الحكومة. وبعد ان بحثت معه نقطة تابعية شركة النفط الوطنية وعرضت عليه طبيعة قانون بنك الرافدين. كررت بوضوح رأيي في وجوب ان ترتبط شركة النفط الوطنية برئيس الوزراء، او مجلس الوزراء، وكررت عرض هذا الرأي امام مجموعة الضباط من المرافقين وغيرهم عندما اخبرهم ان ولادة الشركة الوطنية للنفط وما سينجم منها من خير مالي للبلاد قد انتهت وسيعلن عنها. وقد سمعت انه بعد ٨ شباط ومقتل المرحوم الزعيم عبد الكريم وجدت لائحة قانون شركة النفط الوطنية على مكتبه في وزارة الدفاع، وترددت هذه الاشاعة كثيرا من قبل مؤيدي عبد الكريم ومعارضيه الذين استولوا على السلطة في ١٤ رمضان الموافق ٨ شباط.

اما ما قبل هاتين الليلتين في ٦ و٧ من شباط سنة ١٩٦٣ والليتين انتهتا صبيحة ٨ شباط سنة ١٩٦٣ بانقلاب ١٤ رمضان. تجدر الاشارة اني قابلت الزعيم عبد الكريم في اوائل شباط للاستئذان بالسفر الى اجتماع لجنة التضامن الاسيوي – الافريقي مع صديقي نائل سمحيري الى افريقيا، وقد كان المرحوم عبد الكريم تعبا وساهبا حينما اخبرته بذلك فقال: (الله يكتب لك السلامة) ثم انتبه ورفض بشدة فكرة سفري بعيدا بان (عنده اشغال قريبة وهو يريدني الى جانبه، وهو سيدبر لي سفرة جيدة تعوضني عن هذه السفرة) وقد استجبت لرجائه في عدم السفر، على اني سمعت من مصادر عدة بعد ذلك وايدها الصديق الزعيم احمد محمد يحيى وزير الداخلية انذاك، ان عبد الكريم كان قد اخبره انذاك انه يزمع اجراء تغييرات اساسية – بعد ان اكتشفت المؤامرة على حكمه – يوم الاحد في ١٩٦٣/٢/١٠، ولكن الانقلاب المسلح اندلع في ١٩٦٣/٢/٨ ولقد سافر الاخر المرحوم نائل سمحيري ممثلا للجنة العراقية للتضامن مع الشعوب الاسيو – افريقية ومقرها القاهرة الى مؤتمر المنظمة وهناك حدث انقلاب ١٤ رمضان سنة ١٩٦٣ وكان ممثل حزب البعث في المؤتمر المرحوم الاستاذ ميشال عفلق وصلاح البيطار وحدثت مواجهة بينهما وبين الاستاذ نائل

وبقي نائل في اوروبا لمدة اشهر قبل العودة الى بغداد.

كما حضرت مع المرحوم عبد الكريم حفل افتتاح معمل شركة الصناعات الخفيفة في الرستمية لصنع الصوبات "الدفايات" والطباخات النفطية ومعملها في المسبح لتجميع الراديوات والتلفزيونات ووضع حجر الاساس في

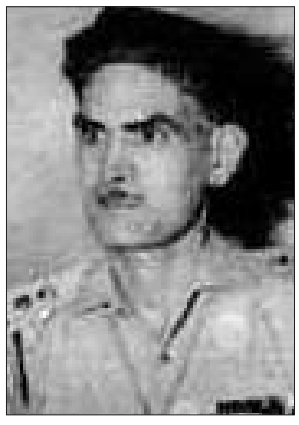

الرستمية لمعملها للعلف الحيواني الذي احيل بعهدة شركة (بوهلر) السويدية الشهيرة للمطاحن وسايلوات الحبوب (وقد ترك هذا المشروع بعد ٨ شباط بعد ان هدم حجر الاساس له وسرقت ورقة العشرة دنانير التي وضعت فيه).

اما المرة الاخرى التي قابلت فيها المرحوم عبد الكريم قاسم في سنة ١٩٦٣ فكانت في اوائل السنة عندما ذهبت الى وزارة الدفاع لاخباره، بسفري للبصرة يومين للاستحمام في بيت على شط العرب لأحد الاصدقاء فكلفني انذاك – وهو تكليف ذو دلالة بالتفكير جديا في دستور دائم مبني على اساس انتخبي لمجلس امة ديمقراطي وبوضع مسودة لهذا الدستور اثناء تفرغي في المنتجع على ضفاف شط العرب في البصرة، وقد قمت بتحرير القسم المتعلق بالسلطة القضائية في الدستور وتم تمزيق بعد ذلك في شباط خوفا من تحري السلطة آنئذ.

واذكر انه في إحدى مناسبات زياراتي له في وزارة الدفاع انه اصطحبني معه لاحتفال في كرادة مريم في (قاعة الخلد) يقيمه اتحاد العمل والفلاحين سوية لمناسبة لا اذكرها ولكني ذهبت معه وخطب انذاك خطابا هدد فيه المتآمرين والمتقاعسين مرتين بعد توارد الانباء عن مؤامرة لقتله كانت مدبرة له آنذاك، قد عدت معه في سيارته العسكرية الروسية الصنع الى وزارة الدفاع. وسألني ونحن في الشوارع البغدادية في الكرخ عما اذا كنت (قد رأيت مدينة الشعلة في ظاهر قضاء الكاظمية في الكرخ وما عد فيها من دور سكن للناس، حيث انه – اي عبد الكريم قاسم – قد آلى على نفسه ان يوفر دار سكن لكل عراقي من الشمال الى الجنوب – وانتقد معارضيه الذين يتهمون اخاه حامداً ظلماً بانه قد اشترى دارا لسكناه على شاطئ كرادة مريم في بغداد مقدرا بان دار سكناهم هو وابوه واخوه كان على جانب دجلة في الصويرة ايضا)، على ان المرحوم عبد الكريم قاسم قتل في العاشر من شباط سنة ١٩٦٣، في دار الاذاعة العراقية ببغداد، وبعد ان دفن في المقبرة وفي اليوم التالي لمقتله جاء إليه فقراء الناس من مناصريه – من فلاحي جنوبي العراق للاحتفال بمقتله وتقديسه على الطريقة العراقية في الاحتفال بالمقابر إذا ما فاتتهم او خرجت عن قدرتهم حماية القديسيين من الموتى، وذلك من فرط حبهم لمن يعتقدون فيهم القدسية، فما ان رأت السلطة ذلك نبشت القبر واخرجت جثة عبد الكريم قاسم منه، والقت الجثة بحجر، واودعتها في اعماق دجلة رامية اياها من سطح النهر – كما روى لنا الرواة في حينه وبهذه الطريقة المتوحشة والبعيدة عن الحضارة والوفاء والمروءة والخلق الانساني انتهت حياة الزعيم عبد الكريم قاسم البكر وانتهى وجوده على هذه الارض.

عن كتاب عبد الكريم قاسم
وعراقيون آخرون
ذكريات وانطباعات

لمحات عن تاريخ حياة ابن الشعب البار سيادة الزعيم الامين

عبد الكريم قاسم ثائر ثورة 14 تموز المباركة

ي

١- ولد في بغداد يوم ٢١ كانون الاول سنة ١٩١٤ من اسرة عراقية ومن ابوين عربيين في محلة قنبر علي.
٢- دخل مدرسة الصويرة الرسمية في قضاء الصويرة سنة ١٩٢١ واستمر في الدراسة فيها حتى الصف الرابع حيث انتقل الى مدرسة المامونية فالرصافة في بغداد وحاز على الشهادة الابتدائية في سنة ١٩٢٧ . ودخل بعدها تواً المدرسة الثانوية المركزية وداوم فيها سنة واحدة نجح فيها الى الصف الثاني الثانوي وترك المدرسة سنة واحدة لاسباب مرضية استمر بعدها في الصف الثاني وحاز على شهادة الدراسة المتوسطة ثم شهادة الدراسة الاعدادية في سنة ١٩٣١.
٣- عين معلما لمدرسة الشامية الابتدائية الرسمية في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٣١.
٤- وفي مايس ١٩٣٢ حصل على شكر من مدير معارف منطقة البصرة لاهتمامه بصفه المختص به.
٥- وفي تموز ١٩٣٢ ثبت بوظيفته كمعلم في مدرسة الشامية الابتدائية الرسمية لكفاءته وجدارته.
٦- وفي ٣٠ ايلول ١٩٣٢ قدم طلبا الى مدير معارف منطقة البصرة باعتباره مستقيلا من ١ تشرين الاول ١٩٣٢ رغبة منه في اكمال تحصيله العالي وقد وافق عليها مدير معارف المنطقة في ٥ تشرين الاول ١٩٣٢.
٧- قبل في المدرسة العسكرية في ١٥ ايلول سنة ١٩٣٢.
وفي ١٥ نيسان ١٩٣٤ رفع الى رتبة ملازم ثان وعين بمنصب آمر فصيل في الفوج الثالث.
٩- كتب عنه آمر فوجه تقريرا اشاد باخلاقه وشهامته التي فاقت حد التصور حيث ابت وطنيته واخلاصه ان يكون بعيداً عن فوجه عن قيامه بالهجوم على العصاة في الرميثة، ففي الوقت الذي كان فيه مريضا ومصاباً بالحمى طلب منه آمر الفوج ان يتأخر في ثكنة الفوج طلباً لراحته ولكنه ابى ذلك وكان على رأس فصيله في الهجوم فدخل به قصر (خنيفير) قبل اي شخص آخر وقد منح نوط الخدمة الفعلية لاشتراكه في حركات الفرات في ١٤ آب ١٩٣٥.
١٠- رشح للقبول في مدرسة النقلية الآلية وفي ٣ كانون الثاني ١٩٣٧ نقل اليها ودخل دورة السواقين ونجح فيها كضابط آلي واعيد الى وحدته في مستودع مشاة الحلة بطلب منه.
١١- وفي ٨ ايلول ١٩٣٧ رفع الى رتبة ملازم اول.
١٢- نقل الى منصب مساعد في الفوج الثاني اللواء الثاني.

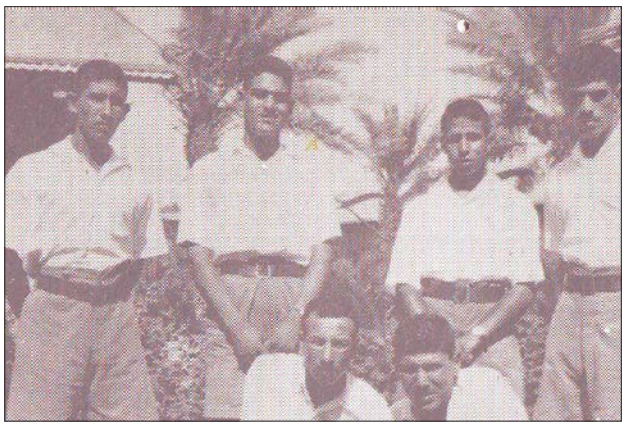

١٣- وفي ايار ١٩٣٨ نقل الى منصب آمر فصيل في المدرسة العسكرية، وقد تم ترشيحه لهذا المنصب من بين اسماء ضباط آخرين عرضت على رئيس اركان الجيش آنذاك فانتخبه من بينهم.
١٤-وفي ٢٤ كانون الثاني ١٩٤٠ التحق بدورة الاركان السابعة.
١٥- وفي ١٢ ايلول ١٩٤٠ رفع الى رتبة رئيس.
١٦- وفي ٢ ايار ١٩٤١ استخدم في

عراقيون
من زمن التوهج

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة
المدى للإعلام والثقافة والفنون

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم

رئيس التحرير التنفيذي
عدنان حسين

نائب رئيس التحرير: علي حسين

الاخراج الفني: نصير سليم

طبعت بمطابع مؤسسة
المدى
للإعلام والثقافة والفنون

WWW. almadasupplements.com

القيادة الغربية بمنصب ضابط ركن لواء المشاة التاسع، وثم ضابط ركن في الفرقة الثالثة، خلال حركات ايار ضد الانكليز وقوى الاستعمار في العراق.

١٧- وفي ٥ حزيران ١٩٤١ اعيد الى كلية الاركان لاكمال دراسته العسكرية العالية حيث تخرج منها في ١١ كانون الاول ١٩٤١. وقد اوصى آمر كلية الاركان بنجاحه في الدرجة (أ) واستخدامه بمنصب مقدم لواء او ضابط ركن ثان في مقرات الفرق للاستفادة من كفاءته.

١٨- في ١٧ كانون الاول ١٩٤١ عين بمنصب مقدم لواء المشاة الرابع عشر.

١٩- وفي ١٨ تشرين الاول ١٩٤٢ نقل الى منصب مقدم لواء المشاة السابع.

٢٠ وفي ٢٧ نيسان ١٩٤٣ ثبت بمنصب ضابط ركن ومنح قدماً ممتازا لمدة سنتين.

٢١- وفي ٢ ايار ١٩٤٣ رفع الى رتبة رئيس اول ركن.

٢٢- وفي ٤ آب ١٩٤٣ نقل الى منصب مقدم لواء المشاة الثالث.

٢٣ – ابدى شجاعة فائقة في الحركات الفعلية التي جرت في منطقة قضاء الزيبار والمناطق المجاورة لها بين تاريخ ٩ آب ١٩٤٥ و٢٠ تشرين الاول ١٩٤٥ حيث منح نوط الشجاعة في ١ تشرين الثاني ١٩٤٥ تقديرا لاعماله الممتازة. وقد كتب عنه آمر جحفل لواء المشاة الثالث في تقريره السنوي بعد تلك الفترة بانه ضابط ركن خلوق جداً، كريم النفس، شهم، مخلص لآمره، دقيق في اعماله، ثقافته العامة جيدة جداً، واشغل منصب مقدم لواء او ضابط ركن ثان في مقرات الفرق للاستفادة من كفاءته. وقد تم ترشيحه لهذا المنصب من بين اسماء ضباط آخرين عرضت على رئيس اركان الجيش آنذاك فانتخبه من بينهم.

١٤- وفي ٢٤ كانون الثاني ١٩٤٠ التحق بدورة الاركان السابعة.

١٥- وفي ١٢ ايلول ١٩٤٠ رفع الى رتبة رئيس.

١٦- وفي ٢ ايار ١٩٤١ استخدم في القيادة الغربية بمنصب ضابط ركن لواء المشاة التاسع، وثم ضابط ركن في الفرقة الثالثة، خلال حركات أيار ضد الانكليز وقوى الاستعمار في العراق.

١٧- وفي ٥ حزيران ١٩٤١ اعيد الى كلية الاركان لاكمال دراسته العسكرية العالية حيث تخرج منها في ١١ كانون الاول ١٩٤١. وقد اوصى آمر كلية الاركان بنجاحه في الدرجة (آ) واستخدامه بمنصب مقدم لواء او ضابط ركن ثان في مقرات الفرق للاستفادة من كفاءته.

١٨- في ١٧ كانون الاول ١٩٤١ عين بمنصب مقدم لواء المشاة الرابع عشر.

١٩- وفي ١٨ تشرين الاول ١٩٤٢ نقل الى منصب مقدم لواء المشاة السابع.

٢٠- وفي ٢٧ نيسان ١٩٤٣ ثبت بمنصب ضابط ركن ومنح قدماً ممتازاً لمدة سنتين.

٢١- وفي ٢ ايار ١٩٤٣ رفع الى رتبة رئيس اول ركن.

٢٢- وفي ٤ آب ١٩٤٣ نقل الى منصب مقدم لواء المشاة الثالث.

٢٣- ابدى شجاعة فائقة في الحركات الفعلية التي جرت في منطقة قضاء الزيبار والمناطق المجاورة لها بين تاريخ ٩ آب ١٩٤٥ و٢٠ تشرين الاول ١٩٤٥ حيث منح نوط الشجاعة في ١ تشرين الثاني ١٩٤٥ تقديرا لاعماله الممتازة. وقد كتب عنه آمر جحفل لواء المشاة الثالث في تقريره السنوي بعد تلك الفترة بانه ضابط ركن خلوق جداً، كريم النفس، شهم، مخلص لآمره، دقيق في اعماله، ثقافته العامة جيدة جداً، واشغل منصب مقدم لواء بكل جدارة واخلاص، وانه ضابط جيد جداً من كافة الوجوه، وسوف يكون في المستقبل من ضباط الجيش القديرين. ونظرا الى ابدائه شجاعة فائقة في الحركات الفعلية فقد منح نوط الشجاعة تقديرا لشجاعته وتثميناً لبسالته.

٢٤- وفي ٢٦ كانون الاول ١٩٤٥ نقل الى منصب آمر الفوج الثالث. وقد كتب عنه آمر لوائه بانه رقيق القلب، عفيف النفس، لايبالي بالمتاعب الجسمية والفكرية ما دامت تتعلق بالواجب.

٢٥- وفي ٢ ايار ١٩٤٧ رفع الى رتبة مقدم ركن.

٢٦- وفي ١٥ كانون الاول ١٩٤٧ نقل الى منصب معاون مدير ادارة الفرقة الثانية.

٢٧- وفي خلال وجود القوات العراقية في الاردن في سنة ١٩٤٨، عين بمنصب معاون مدير الادارة للقوات العراقية هناك.

٢٨- وفي ٢٤ ايار ١٩٤٨ نقل الى منصب آمر الفوج الثاني لواء المشاة الاول المرابط في الاردن.

٢٩- حصل على كتاب شكر من قائد القوات العراقية في الاردن حيث قام بهجوم على مواقع اليهود على رأس الرتل المسمى برتل المجامع الذي يأتمر بامرته والذي كان فوجه جزءاً منه، وذلك في ١٣ حزيران ١٩٤٨. وقد وصف قائد القوات العراقية اعماله في كيشر بالمجهود المنطوي على العزم والجرأة.

٣٠- وفي ٢٧ تموز ١٩٤٨ نقل الى منصب آمر الفوج الاول اللواء الاول.

٣١- حصل على كتاب شكر آخر من قائد القوات عندما قام فوجه بصد هجوم للعدو واسترجع المواضع التي احتلها وكبده خسائر فادحة كما غنم بعض الاسلحة منه.

٣٢- وفي ايلول ١٩٥٠ اوفد الى انكلترا للاشتراك بدورة التعبية للضباط الاقدمين وحصل على تقرير ممتاز من المدرسة المذكورة

٣٣- في ٢ مايس ١٩٥١ رفع الى رتبة عقيد ركن.

٣٤- بتاريخ ٩ ايلول ١٩٥١ منح نوطي الحرب والنصر.

٣٥- وفي ١٦ تموز ١٩٥٢ نقل الى زمرة التدريب في مقر وزارة الدفاع.

٣٦- وفي ٥ كانون الثاني ١٩٥٣ نقل الى منصب معاون مدير العينة.

٣٧- في ٣٠ نيسان ١٩٥٣ منح وسام الرافدين من الدرجة الرابعة ومن النوع العسكري.

٣٨- وفي ١٣ كانون الاول ١٩٥٣ نقل الى منصب ىمر اللواء التاسع عشر.

٣٩- وفي نيسان ١٩٥٥ اوفد ضمن بعثة عسكرية لحضور مناورات الجيش التركي.

٤٠- كتب عنه قائد الفرقة الثالثة في تقريره السري لسنة ١٩٥٥ بانه آمر لواء قدير وحريص ونزيه بتفاني في اداء واجبه، طيب النفس كريم اليد ، يناصر الحق ويعين الضعيف.

٤١- في ٢ ايار ١٩٥٥ رفع الى رتبة زعيم ركن.

٤٢- وكتب عنه قائد الفرقة الثالثة بانه يمتاز بالحرص والامانة في اداء واجبه وادراك التبعات الملقاة على عاتقه.

٤٣- كما ذكر عنه ايضا بانه من الضباط الكفوئين المخلصين لواجباتهم، الامينين في اعمالهم لطيف المعشر، رحيم ونزيه وجريء، ومندفع وله نظرة طيبة في الامور الادارية والتنظيم.

٤٤- وفي ٢٩- نيسان ١٩٥٧ منح نوط الشرطة للخدمة الممتازة.

٤٥- وفي ١٤ تموز ١٩٥٨ قام بثورة ١٤ تموز المجيدة وقادها من اجل الشعب باسم القائد العام للقوات المسلحة الوطنية لسحق الاستعمار وكسر قيود الذل والعبودية ودك صروح الظلم والجور والقضاء على نظام العهد المباد واركان الملكية والاقطاع فحرر الشعب والوطن وقضى على الاستعمار في العراق واسترد للشعب كرامته واسس الجمهورية العراقية الخالدة.

٤٦- عين بمنصب رئيس الوزراء والقائد العام للقوات المسلحة ووكيل وزير الدفاع بتاريخ ١٤ تموز ١٩٥٨.

٤٧- وفي ٦ كانون الثاني ١٩٥٩ يوم الجيش رفع الى رتبة لواء ركن.

عبد الكريم قاسم في احتفال عيد الجيش

عبد الكريم قاسم ونجيب الربيعي و مهدي كبة في احتفال عيد الجيش 1959

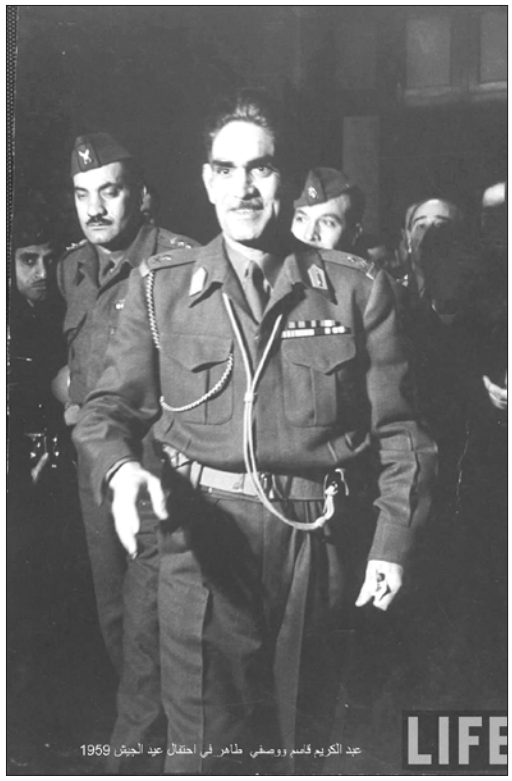

عبد الكريم قاسم ووصفي طاهر في احتفال عيد الجيش 1959

قاسم في منزله ينظر صورة لوالده